# بث مباشر من جهنم

اسم الكتاب: بث مباشر من جهنم
تأليف: تامر أبو عرب
تصميم الغلاف : عبد الرحمن الصواف
رقم الإيداع: 2015/7882
الترقيم الدولي: 978-977-6376-81-6

***

إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

كيان للنشر والتوزيع – 22 ش الشهيد الحي بجوار مترو ضواحى الجيزة – الهرم
محمول: 01000405450- 01005248794 – 01001872290 – أرضي: 0235688678
www.kayanpublishing.com - info@kayanpublishing.com
kayanpub@gmail.com

© جميعُ الحقوقِ محفوظةٌ، وأيُ اقتباسٍ أو إعادةِ طبع أو نشر في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أو الكترونيةً أو بأيةِ وسيلةٍ سمعية أو بصريةٍ دون إذن كتابي من النـاشـر؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

# بث مباشر من جهنم

تامر أبو عرب

# إهداء

إلى كارمن تامر أبو عرب.. التي جعلت حياتي أجمل.

إلى باسم يوسف وبلال فضل ومحمود سعد ويسري فودة.. الذين أحببتهم قبل أن أعرفهم وعندما عرفتهم أحببتهم أكثر.

إلى أحمد سمير ومحمد أبو الغيط وأحمد الدريني.. الذين حافظوا على نظافتهم في المعركة القذرة.

# مقدمة

لن يكون من السهل على أي باحث بعد سنوات من الآن معرفة حقيقة ما شهدته مصر في الفترة منذ عزل مرسي يوم ٣ يوليو ٢٠١٣ وحتى منتصف عام ٢٠١٥، ذلك لأن الإعلام المرئي والمسموع عكف طوال هذين العامين على إخفاء الحقائق ومنع أي صوت مخالف لتسونامي الكراهية والانتقام من تسجيل شهادته على ما حدث.

لم تعد وسائل الإعلام المملوكة للدولة وحدها هي التي تتبنى خطابها وتؤيد خطواتها وتفترس أعداءها، بل أصبحت الوسائل «المستقلة» تجاوزا، والمملوكة لرجال أعمال مبارك تزايد على الإعلام الرسمي في الكذب والتضليل والإقصاء، لذلك فإن فهم ما حدث في مصر خلال هذين العامين الفارقين من تاريخ البلاد سيصبح مهمة ثقيلة وصعبة على أي راغب في قراءة روايات أخرى بخلاف الرواية الرسمية التي سُمح بتوثيقها عن هذه الفترة.

هذا الكتاب حاول أن يوفر هذه الرواية المختلفة، يمكنك اعتباره صرخة في وجه سياسة الصوت الواحد، خطوة صغيرة في طريق إفساد مخططات التزييف والتضليل، محاولة متواضعة لرؤية الجانب الآخر من الصورة وسماع شهود آخرين في القضية، لا يدعي الكتاب أو كاتبه احتكار الحقيقة أو عدم النطق عن الهوى، لكنه يؤمن بحق الأجيال القادمة في قراءة روايات مختلفة غير محسوبة على طرفي الصراع «العسكري - الإخواني»، ثم بناء وجهة نظرها الحرة بشأن ما حدث في هذا البلد خلال هذه السنوات بعد الاستماع لأكثر من رواية، بدلا من أن يبقى الجميع أسرى لرواية واحدة هي تلك التي سمحت السلطة بتوثيقها.

هـذا الكتـاب يحمـل شـهادتي ومشـاهداتي عـن الفـترة التـي تلـت ٣ يوليـو ٢٠١٣، هـذه الفـترة التـي بـدأت بحلـم إزاحـة الإخـوان عـن حكـم أثبتـت الجماعـة أنهـا ليسـت أهـلا لـه، وبنـاء نظـام ديمقراطـي يقبـل التعـدد ويحـترم الـرأي الآخـر ويملـك حلـولا حقيقيـة لمشـاكل مـصر بخـلاف مـشروع النهضـة الوهمـي، وانتهـى بكابـوس فـاق في سـواده مـا كان الوضـع عليـه أيـام الإخـوان، حيـث حـل الاسـتبداد العسـكري محـل الاسـتبداد الدينـي، واحتـكار الوطنيـة محـل احتـكار الديـن، وأصبـح التعبـير عن الـرأي جريمـة تسـتوجب الحبـس، وباتـت ٢٥ ينايـر نفسـها أثـرا بعـد عـين وأصبـح كل مـن ينتمـي إليهـا عرضـة للملاحقـة والإقصـاء والتنكيـل، وتحولـت الصحـف والقنـوات الفضائيـة مسـتباحة للمخبريـن والمضللـين وعمـلاء أمـن الدولـة، وحُبـس الإعلاميـون الحقيقيـون في منازلهـم اختيـارا أو إجبـارًا.

كنـت أمـام خيارِيـن، إمـا الاقتنـاع بـأن هـذا الشـعب لا يسـتحق إلا مـا هـو فيـه ولا ينبغـي المخاطـرة لأجلـه ومـن ثـم ممارسـة عمـلي الصحفـي في صمـت والتفـرغ لتربيـة لطفـلاي، أو الإيمـان بـأن هـذا الشـعب ضحيـة لمنظومـة خربـة وتعليـم فاسـد وتضليـل يحـاصره مـن كل جانـب ومـن ثـم مضاعفـة الجهـود لإخراجـه مـما هـو فيـه.

انحـزت للخيـار الثـاني، إن لم يكـن لـدواع وطنيـة ولقناعـة بـأن هـذا البلـد يسـتحق وضعـا أفضـل مـما هـو فيـه بكثـير، فبمنطـق نفعـي بحـت يقـول إنـه لأحافـظ عـلى سـلامة أسرتي وطفـلاي يجـب أن أسـعى لتحسـين المجتمـع الـذي يعيشـون فيـه بـدلا مـن أن أفقدهـم أو يفقدوننـي في حـادث عـلى طريـق جعلـه الفسـاد مصيـدة للموت أو بعـلاج خاطـئ كتبـه طبيـب تخـرج في نظـام تعليمـي فاشـل.

سـنكمل مشـوار ثـورة ٢٥ ينايـر، لأنـه ببسـاطة ليـس لدينـا بديـل، فإمـا النـصر في معركتنـا مـع الدولـة القديمـة، أو المـوت برصاصهـا وإهمالهـا.

تامر أبو عرب

القاهرة في ٢٥ مارس ٢٠١٥

# الفصل الأول
# .. ثورة ..

## «ثورة أُحد».. يا عزيزي كلنا «رُماه»

«إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم».

كانت هذه هي الكلمات الأخيرة التي قالها النبي محمد- صلى الله عليه- وسلم قبل بدء غزوة أُحد لـ٥٠ راميًا وضعهم على الثغرة الوحيدة الموجودة بأرض المعركة وهو جبل يقع على الضفة الجنوبية من وادي مناة.

كلمات النبي كانت واضحة لا تقبل التأويل، لكن بعد أن أصبح النصر قريبًا من المسلمين، وبدأ جيش قريش في الانسحاب من أرض المعركة، ترك ٤٠ راميًا أماكنهم التي أمرهم بالبقاء فيها حتى يرسل إليهم وأيًا كانت نتيجة الحرب، ونزلوا إلى أرض المعركة يجمعون الغنائم التي تركها القريشيون وهم يولون الأدبار.

تقارب يصل إلى حد التطابق بين غزوة أحد وثورة ٢٥ يناير، فقد كانت الحسابات المنطقية في صالح قريش قبل بدء المعركة، وكذلك كانت دولة مبارك، وحقق الثوار نصرًا مؤزرًا في البداية وكذلك جيش المسلمين، وترك الرماة أماكنهم التي تضمن عدم عودة فلول جيش قريش للحصول على أكبر قدر من الغنائم قبل غيرهم، وكذلك فعلنا جميعًا، فعادت دولة مبارك إلى الحياة وعادت الثورة إلى الوضع الدفاعي، وكذلك ابتُلي جيش محمد.

ترك الثوار أماكنهم في حماية ظهر الثورة فأغار عليهم أعداؤها وأخذوا منهم المكسب تلو الآخر، لكن هذا حديث الماضي، فماذا عن المستقبل؟.

بـم أن أحـداث ثـورة ٢٥ ينايـر هـي نفسـها أحـداث غـزوة أحـد، فـإن الطريـق الـذي يجـب أن يتخـذه الثـوار لتجـاوز آثـار الهزيمـة هـو نفسـه الطريـق الـذي اتخـذه الرسـول- صـلى اللـه عليـه وسـلم- لتجـاوز آثـار هزيمـة أُحـد.

**١-التمحيص:**

«مَـا كَانَ اللَّـهُ لِيَـذَرَ الْمُؤْمِنِـينَ عَـلَى مَـا أَنْتُـمْ عَلَيْـهِ حَتَّـى يَمِيـزَ الْخَبِيـثَ مِـنْ الطَّيِّـبِ وَمَـا كَانَ اللَّـهُ لِيُطْلِعَكُـمْ عَـلَى الْغَيْـبِ».

تكـون الهزائـم ضروريـة أحيانًـا لتسـتطيع الفـرز بـين مـن معـك ومـن عليـك، ففـي وقـت اليـسر تجـد الجميـع بجـوارك، وفي وقـت العـسر ينفـض الكثـيرون مـن حولـك وربمـا يتحالفـون مـع أعدائـك، فاسـتغل النبـي الهزيمـة في معرفـة المؤمنـين برسـالته حقًـا والمنافقـين الذيـن تظاهـروا بالإيمـان وأخفـوا الكفـر.

بعـد المعركـة اكتشـف الرسـول أن رجـلًا مثـل الحـارث بـن سـويد بـن الصامـت، وهـو مـن الأنصـار، خـرج إلى المعركـة أحـد خصيصـا كي يقتـل المجـذر بـن زيـاد، وهـو مـن الأنصـار أيضـا، ليشـفي غليلـه مـن ثـأر قديـم، فنفـذ فيـه الرسـول حـد القتـل، أمـا عبـد اللـه بـن أبي بـن سـلول فحـاول أن ينصـح أتباعـه في صـلاة الجمعـة بطاعـة الرسـول، فأخـذ المسـلمون بثوبـه وقالـوا لـه «اجلـس عـدو اللـه، لسـت لذلـك بأهـل».

يـوم ١١ فبرايـر وبعـد انـصرافي مـن ميـدان التحريـر، بعـد إعـلان تنحـي مبـارك، وجـدت مـصر كلهـا في الشـارع، الـكل يرفـع الأعـلام ويـضرب الكلاكسـات ويـوزع الشربـات، مـن كان ضـد الثـورة إذن؟ ولمـاذا قبلهـا بعـدة أيـام كان واحـد مـن كل خمسـة أكلمهـم يؤيـد الثـورة، بينـما يـتراوح الأربعـة الآخـرون مـا بـين كاره لهـا ومقتنـع بأنهـا مؤامـرة، وكاره للأوضـاع تحـت حكـم مبـارك لكنـه لا يجـد بـين الموجوديـن بديـلا يمـلأ فراغـه، ومؤمـن بالتغيـير التدريجـي الإصلاحـي وليـس التغيـير الثـوري.

هـي فرصـة حقيقيـة لتعـرف الثـورة المؤمنـين بأهدافهـا حقًـا والصادقـين فعـلا في مطالـب العيـش والحريـة والعدالـة الاجتماعيـة، مـن الراغبـين في اسـتبدال نظـام أو الباحثـين عـن نصيـب في الكعكـة.

سـتعرف الثـورة في هـذه المرحلـة أعداءهـا بوضـوح، بعدمـا ينتقـل الذيـن تظاهـروا بالإيمـان بهـا إلى جيـش أعدائهـا الواضحـين.

**٢- الانتقال السريع للهجوم:**

«إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ».

لم يمنـح الرسـول الكريـم لخصومـه فرصـة الاسـتمتاع بنشـوة النـصر، فـأراد أن يوصـل لهـم رسـالة بـأن جيشـه مـازال قويًـا وقـادرًا عـلى المبـادرة، وأن الهزيمـة في أُحـد لم تؤثـر في عزيمتـه عـلى إتمـام الرسـالة.

بعـد ٣ أيـام مـن هزيمـة أُحـد وبالتحديـد في ليلـة ١٠ شـوال خرجـت قـوة مـن المسـلمين، وعـلى رأسـهم الرسـول- صـلى اللـه عليـه وسـلم- في غـزوة حمـراء الأسـد، لمقابلـة جيـش أبـو سـفيان العائـد إلى مكـة.

طلـب الرسـول أن يخـرج معـه المسـلمون الذيـن قاتلـوا في أحـد فقـط، وكان معظـم مـن خـرج، وعـلى رأسـهم الرسـول، جرحـى، وكان منهـم مـن بـه ١٠ جراحـات، وكان الرسـول نفسـه مجروحـا في الوجـه والشـفة السـفلى والركبتـين.

حرمان خصمك من الاستمتاع بنشوة الانتصار انتصار في حد ذاته.

مطلـوب مـن الثـوار كثـير مـن الضربـات الاسـتباقية في الفـترة المقبلـة، وعـدم التفـرغ لكتابـة بكائيـات عـن الثـورة التـي ضاعـت ونظـام مبـارك الـذي عـاد، مطلوب تحـرك جديـد ليعـرف الحـكام الحاليـون ومـن يفكـرون في الوصـول إلى الحكـم قريبًـا

أن الثورة لم تمت، وأن الثوار لم يستسلموا لليأس، وأن مطالب العيش والحرية والعدالة الاجتماعية صارت أكثر ضراوة بعد التخلص من نظامي مبارك والإخوان اللذين لم يستجيبا لها.

يجب أن يتحرك الثوار في هذه الفترة أكثر من تحركهم في أي وقت مضى، يكونوا وفودًا، من بينهم لطرق أبواب الوزارات والهيئات الحكومية لمحاصرتها بمطالب الثورة، والنزول إلى الشوارع لتذكير الناس بمطالب الثورة وإزالة آثار كفرهم بها بفضل ممارسات الإخوان وبعض المحسوبين على الثورة، بالإضافة إلى التواجد بمواقع العمل إلى جانب العمال والفلاحين والحرفيين وعدم الاكتفاء بمخاطبتهم بمصطلحات فوقية عبر الفضائيات.

**٣- مراجعة التحالفات.**

كان الرسول- صلى الله عليه وسلم- قد تحالف مع يهود المدينة فور هجرته إليها قادما من مكة، واستمرت الأوضاع هادئة حتى انهزم المسلمون في أحد فاستغل يهود بني النضير الفرصة ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي، فأخرجهم من المدينة وتحالفوا مع قريش.

كذلك نقض يهود بني قريظة عهدهم مع المسلمين بمهاجمتهم من الداخل عندما أثناء غزوة الخندق حتى يسهل على الحشد الكبير للأعداء دخول المدينة، وبعد أن فشلت قريش والأحزاب المتحالفة معها في دخول المدينة وعادوا من حيث أتوا، أمر النبي يهود بني قريظة بمغادرة المدينة ودون أن يأخذوا شيئا من متاعهم.

بعد الأزمات يجب أن تقف لتراجع تحالفاتك، فتتخلص من التحالفات التي تضر بك وتبني تحالفات جديدة تدعم موقفك، مئات الائتلافات القزمية يجب أن تتوحد في كيان واحد يضم شباب الثورة المشتتين، الثوار الحقيقيون يجب أن

يعقدوا تحالفا مع الشعب باعتباره العنصر الحاسم في أي خلاف بين السلطة والمعارضة، وباعتباره بعيدًا عن التوازنات السياسية تمام كالثوار الذين يصرون عليها، رغم أنهم ما زالوا لا يجيدونها.

**٤- نسيان الهزيمة وتذكر دروسها.**

نسي المسلمون بعد أحد هزيمتهم التي أفقدتهم ٧٠ من خيرة الصحابة، لكنهم أبدًا لم ينسوا الدروس التي خرجوا بها منها، لم يفرحوا بأي انتصار قبل أن يتم ويصبح واقعًا، علموا أن كونهم على الحق ليس سببًا كافيًا للنصر دون اجتهاد وأخذ بالأسباب، تعلموا أن يحذروا عدوهم مرة ويحذروا صديقهم ألف مرة، لأن الخيانة تكون أكثر قسوة وأبهظ ثمنًا عندما تأتي من داخل معسكرك.

أدرك المسلمون الأوائل بعد غزوة أُحد أن الأسبقية إلى الإسلام «إلى الثورة» ليست معيارًا وحيدًا للمفاضلة، فيومها ترك سيدنا عثمان بن عفان أرض المعركة عندما أدرك أن النصر في طريقه لجيش قريش، بينما تحلق حول النبي من هم أحدث منه عهدا بالإسلام للدفاع عنه والموت دونه.

**٥- خسرنا معركة وربما معارك، لكن الحرب على «كل مبارك» لم نخسرها بعد.**

## الحقيقة وراء ٣٠ يونيو.

-١-

في ٣٠ يونيو كانت الحشود الهادرة مفاجأة للجميع بمن فيهم الداعون للمظاهرات، وبالقطع كانت مفاجئة للإخوان.

بعد التأكد من ضخامة الحشود، بدأ الكثيرون يترقبون المساء، فحدوث عنف، وإسالة دماء في هذه الليلة يزيد المشهد صخبا، ويزيد موقف مرسي ضعفًا، ويزيد معارضيه إصرارًا على مواصلة الحراك لإسقاطه.

مرت الليلة دون عنف يذكر، وجاء صباح اليوم التالي على متظاهرين أقل عددًا بكثير مما كان في اليوم السابق، وبدت ميادين بعض المحافظات خاوية في ظل حرارة الشمس، وبرودة رد الفعل من جانب نظام الإخوان.

السيناريو الذي وضعه الإخوان يقترب من التنفيذ.

مظاهرات تخرج في اليوم الموعود، وتفتر بمرور الوقت، حتى يقتصر الأمر بعد عدة أيام على اشتباكات محدودة أمام فندق سميراميس، أو اعتصام في محيط الاتحادية يسهل اتهام المشاركين فيهما بالبلطجة والتعدي على الممتلكات.

الفارق فقط أن الأعداد التي خرجت في ٣٠ يونيو كانت أكثر مما توقعه الإخوان، وهذا لا يعني شيئا ما دامت النهاية واحدة.

في ١ يوليو، وتحديدًا في الرابعة والنصف عصرًا زال الغموض، الذي اكتنف موقف الجيش بعد تصريح سابق للفريق أول السيسي يؤكد أن نزول الجيش يعيد البلاد عقودًا إلى الوراء، وأن الوقوف لساعات في طوابير التصويت أسهل كثيرا من تبعات نزول الجيش، حيث أصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة

بيانا أمهلت فيه «الجميع» ٤٨ ساعة لإزالة الاحتقان، الذي يهدد الدولة، واعتبره الإخوان، بغباوة منقطعة النظير، موجها للمعارضة وليس للرئاسة، وبهذا اتضح أن المؤسسة العسكرية تتبنى إسقاط مرسي مثل ملايين المصريين، وليست طرفًا محايدًا يقوم بتأمين المظاهرات، وضمان عدم حدوث عنف ضد المتظاهرين فحسب.

وبالتزامن سارت الشرطة على خطى الجيش، وبذلك صارت كل المؤسسات التي كانت الجماعة قد دخلت معها في خصومة منذ وصولها إلى الحكم مثل الإعلام والقضاء، إلى جانب قطاع ساحق من الشعب، مع رحيل محمد مرسي، إذن فاحتكم الأمر.

تدخل الجيش كان سريعًا جدًا، وبيانه جاء أسرع مما توقع أكثر المتفائلين، وظني أن قياداته تخوفت مما كان يتخوف الكثيرون منه، أن ينطفئ وهج التظاهرات، ويعود الوضع إلى ما كان عليه قبل ٣٠ يونيو، لذلك أراد ببيانه أن يبقي على المتظاهرين في الشوارع، لمساندة قراره، الذي سيتخذه بعزل مرسي بعد ٤٨ ساعة.

طبعا لم تكن الـ٤٨ ساعة مهلة لإزالة الاحتقان، بل كانت وقتًا بدل ضائع منحه الجيش لمرسي للملمة أوراقه ومتعلقاته من قصر الاتحادية، أو محاولة جديدة لإبراء الذمة أمام الداخل والخارج، لأن الجيش أول العالمين بأن مرسي وجماعته لن يتغير موقفهما في هذه المهلة القصيرة.

الفريق أول السيسي نفسه قال إنه عرض على محمد مرسي أكثر من مرة الدعوة لاستفتاء على بقائه، أو لانتخابات رئاسية مبكرة، لكنه كان مصمما على إكمال سنواته الأربع.

كذلك كان يمكن للجيش أن يمنع محمد مرسي من الظهور على التليفزيون الرسمي عشية ٣ يوليو، لكنه لم يفعل، لأنه يعرف أن ظهوره وحديثه لن يؤدي

إلا لزيادة الغضب الشعبي منه، وزيادة أعداد النازلين إلى الشوارع ضده في اليوم التالي، وهو ما حدث.

«تقرر الخروج في مسيرة بعربات النقل إلى الاتحادية في ٣٠ يونيو، لتسليم الرئيس استمارات تمرد، والمطالبة بسحب الثقة منه، والدعوة لانتخابات رئاسية مبكرة».. زياد العليمي في ٢٩ مايو ٢٠١٣.

إذن فقبل ٣٠ يوما من اليوم الموعود كان الداعون لـ٣٠ يونيو يتعاملون مع مرسي باعتباره الرئيس، الذي يُطلب منه ويُسلم إليه، وكان المقرر في حالة رفض مرسي الطلب أن يعتصم معارضوه أمام قصر الاتحادية لحين إعلان استقالته، ولم تطلب الحملة من الجيش التدخل بأي صورة، فما الذي تغير في هذا الشهر؟

-٢-

تدخل الجيش لعزل رئيس الإخوان جنب البلاد الكثير من المخاطر، لكنه وضعها أمام مخاطر أخرى.

عزل مرسي جنب البلاد حربا أهلية كانت وشيكة، وأزال نظاما مستبدا كان يخطط لبقاء طويل يقصي خلاله معارضيه، ويتغول على كل سلطات الدولة، ويُأخون الفساد ليضمن حمايته إذا لفظه الشعب يوما.

في المقابل، وضع عزل مرسي مصر أمام مخاطر أخرى تتعلق بدور المؤسسة العسكرية في السياسة، وانشغالها عن مهمتها الأصلية، وعودة رجال مبارك إلى الحياة بعد غسيل سمعتهم على حساب أخطاء الإخوان، وتراجع الحريات وضياع مكتسبات ثورة ٢٥ يناير، التي يعتبرها كثير ممن شاركوا في ٣٠ يونيو ليست ثورة أصلا!

لجأ الجيش للخيار الأول لحسابات هو يعرفها، وهو أدرى بها، وسيحاسبه

التاريخ على موقفه، لننتقل إلى الحاضر والمستقبل.

كل الشواهد تؤكد أننا أمام محاولات واضحة وممنهجة، للقضاء على ثورة ٢٥ يناير، وتشويه سمعتها، واختصار الأمر في ثورة ٣٠ يونيو، رغم أن الداعين لـ٣٠ يونيو أنفسهم أكدوا مرارا أن هذا اليوم مجرد موجة ثالثة من موجات ثورة ٢٥ يناير بعد الموجة الثانية في نوفمبر ٢٠١١ والتي كانت موجهة ضد الجيش نفسه.

فتحت القنوات الحكومية والخاصة أبوابها للشتامين ومحامي النظام السابق وبقاياه ليستندوا إلى قصاصات من الصحف وبلاغات وهمية غالبيتها تم حفظها، لإثبات أن من ارتبطت أسماؤهم بـ٢٥ يناير مدفوعون من الخارج لتنفيذ مخطط ضد مصر، ويسافرون إلى إسرائيل لتلقي التعليمات.

استغل أبواق نظام مبارك، الذين كانوا في السابق درع مخطط التوريث وسيفه، استقالة الدكتور البرادعي من منصبه كنائب للرئيس، للحديث مجددا عن دوره في حرب العراق، والعلاقة بينه وبين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، ودخوله في صفقات مع الإخوان، باعتبار الرجل أحد أبرز الداعين لثورة يناير، ومن ثم فإن تشويهه وإثبات علاقته بالغرب يعني سحب ذلك بالتبعية على ٢٥ يناير نفسها.

تلقف إصدار صادر عن مؤسسة الأهرام «الحكومية» تصريحات أدلى بها الدكتور عمرو حمزاوي حول اختلافه مع طريقة فض اعتصام رابعة ليقول إنه «أحد مرتزقة نكسة ٢٥ يناير»، وهي بالقطع كانت نكسة على كل من خان وباع وفسد وأفسد وداهن ونافق.

يجعل البعض الخلاف مع الإخوان – على كثرة أخطائهم – ذريعة لشرعنة عودة الاعتقال العشوائي، الذي يطال المتهم وأبناءه وبناته وسائقيه والموظفين عنده تحت دعوى «محاربة الإرهاب»، التي قد تصبح تهمة جاهزة لكل من

يعـارض أو يقـول «لا».

نعم.

هـي محاولـة جـادة لطمـس «٢٥ يناير»، فـلا أحـد يتحـدث الآن عـن العيـش والحريـة والعدالـة الاجتماعيـة والكرامـة الإنسـانية، وأصبـح القبـض عـلى كل مـن ينتمـي للإخـوان المسـلمين هـو الهـدف الأول، وربمـا الأوحـد للثـورة، رغـم أن ٣٠ يونيـو قامـت عـلى محمـد مـرسي أصـلا، لفشـله في تنفيـذ أي مـن مطالـب الثـورة، وللتذكـير بهـا مجـددًا.

لذلك:

نتفهـم سـعيهم المحمـوم لتشـويه ثـورة ٢٥ يناير، التـي وقفـت كالشـوكة في حلوقهـم، وأفقدتهـم مزايـا اكتسـبوها عـبر ٣٠ عامًـا مـن الفسـاد، لكـن مـا نسـتطيع تأكيـده لهـم أن الذيـن خرجـوا مـن التاريـخ مـن بـاب ٢٥ يناير لـن يعـودوا إليـه مـن شـباك ٣٠ يونيـو.

## أخطأنا.. ونعتذر

-١-

إنه الوقت الأمثل لإعادة الحسابات، لأن العودة إلى نقطة البداية من منتصف الطريق خير من مواصلة السير في الطريق الخطأ.

«أخطأنا. ضُللنا. تفرّقنا. انشغلنا عن أم المعارك بمعارك جانبية، لكننا لم نسرق أموال الشعب، لم نُمرضه، لم نعذبه ولم نقتله، والآن نتوقف لنراجع حساباتنا ونتعلم من أخطائنا ونصحح مسار ثورتنا لتعود أكثر قوة وتحقق أهدافها التي لا يختلف أحد على نبلها».

ظني أن هذا هو الكلام الأمثل الذي يجب أن يبدأ به النشطاء والشباب المحسوبون على ثورة ٢٥ يناير خطابهم في هذه المرحلة، بعد أن فعلت حملات التشويه بهم ما لم تفعله برموز النظام السابق رغم ما هم عليه من فساد وإجرام.

أساءت أذرع مبارك الأمنية والإعلامية إلى النشطاء، وأساء النشطاء إلى الثورة، لأنهم تفرقوا حين كان يجب أن يتحدوا، وتكلموا حين كان يجب أن يعملوا، وآمنوا بقدرتهم على التغيير بعيدا عن الشعب، وقد علمتنا التجارب أنه لابديل عن التغيير بالشعب إلا تغيير الشعب.

-٢-

ربما تكون التسجيلات التي أذيعت مؤخرًا لبعض النشطاء فرصة ليعيدوا تقديم أنفسهم بشكل مختلف يتجاوزون فيه أخطاء الماضي، وبافتراض صحة التسجيلات المذاعة، فإنها تمثل أخطاء في التقديرات والحسابات وليست جرائم يصعب التجاوز عنها، فلا التسجيلات أثبتت علاقة أيهم بدول أجنبية، ولا هي

كشفت تضخم ثرواتهم ولا فساد ذممهم المالية. هي انحيازات وخيارات خاطئة لا أكثر، ولو كانت هذه التسجيلات تهمة في حد ذاتها ما فوّتت الجهة التي سجلت هذه الفرصة ولقدمتها فورا إلى جهات التحقيق خاصة أنها كانت في أشد الحاجة إلى دليل إدانة مقنع بدلا من حبس النشطاء بتهمة مضحكة اسمها التظاهر بدون ترخيص. ولو سلّمنا معا بأن ما فعله النشطاء أخطاء لا جرائم، فإن الأخطاء لا تستدعي السجن والذبح والتخوين، وإلا لحبسنا وذبحنا كل من قال نعم لدستور الإخوان، ووقف في طابور طويل يومي الثلاثاء والأربعاء ليقول نعم للاستفتاء من أجل القضاء على الإخوان.

لن نتحدث عن حق الجهة التي قامت بالتسجيل أصلا في التلصص والتنصت على مكالمات شخصية دون إذن قضائي، لأن القضاء عند هؤلاء صنما من العجوة، كما لم نتحدث عن مدى صحة هذه التسجيلات من عدمه، خاصة أن كثيرًا من أبطالها يؤكدون أن بها الكثير من التلاعب، لأن من تلاعب بشهادات صلاحية لتسميم الناس لن يتأفف ضميره إذا تلاعب في تسجيل صوتي، لكننا سنتحدث عمن أعطى مخلفات مبارك فرصة لتعيد تدوير نفسها وتعود في صورة جديدة.

-٣-

الخطوة الأولى يجب أن تأتي من النشطاء والمحسوبين على الثورة، بأن يدعوا إلى مؤتمر عام تحضره كل الوجوه الثورية المعروفة والقوى السياسية الفاعلة والشخصيات العامة الموثوق في حكمتها وولائها للثورة.

في هذا المؤتمر يعلن النشطاء صراحة عن الأخطاء التي وقعوا فيها، ويعتذروا للشعب عنها، ويكشفون عن خطتهم لإصلاح هذه الأخطاء وإعادة الثورة إلى مسارها الصحيح، واستعدادهم لسماع أي اقتراحات من شأنها إعادة ثورة يناير إلى الصورة المشرقة التي كانت عليها يوم ١١ فبراير قبل أن تطالها يد التشويه، ويؤكدون عملهم إلى جانب من هم أكثر من خبرة سياسية وحياتية من أجل تحقيق أهداف الثورة التي لا يختلف أحد على نبلها.

عندما تعرضت دولة مبارك لضربة قوية في ٢٥ يناير ٢٠١١ تماسكت وتوحدت عناصرها وكانت واثقة من العودة، ربما لاطمئنانها إلى عدم وجود قائد يوجه الثورة إلى اتجاه صحيح حين تقف في مفترق طرق، ويكون رأيه هو الفصل عندما تتعدد الآراء.

فطن الكثيرون لهذه الإشكالية بعد أيام من إزاحة مبارك، وطالبوا بتكوين كيان كبير يجمع الثوار ويوحدهم لخوض المعارض التالية مع بقايا النظام البائد ورجاله، لكن هذه المطالبات ضاعت سدى وتفرق الثوار على عشرات الأحزاب والائتلافات القزمية والمتنافرة، فمنحوا لخصمهم الموحد فرصة القضاء عليهم. لذلك لابد أن ينتهي المؤتمر «الافتراضي»، بالإعلان عن تأسيس كيان كبير يضم كل المؤمنين بثورة يناير والمتمسكين بأهدافها، ربما يتعرض كيان من هذا النوع لمضايقات كثيرة من الدولة والمتأثرين بدعايتها لفترة ما، ولكن بمرور الوقت وتأكد الناس من صدق نوايا من فيه، وعدم تكرارهم أخطاء الماضي ستتغير الصورة تدريجيا.

## سجن أم الدنيا.. قد الدنيا

-١-

يـوم الثلاثـاء ٨ إبريـل ٢٠١٤ طلعـت الشـمس في موعدهـا عـلى مـصر، يُجهـز الإخـوان لمظاهراتهـم الأسـبوعية، تتواصـل محـاولات الصلـح بـين الهلايـل والدابوديـة في أسـوان، تُفـكك الشرطـة قنابـل يدويـة حـول المـدارس والمصالـح الحكوميـة، يتأرجح مـؤشر البورصـة صعـودا وهبوطًـا، يعتصـم عـمال كثـيرون للمطالبـة بالحـد الأدنى للأجـور، يواصـل السـيسي اسـتقبال ممثلـين للعواقـل والقبائـل والعائـلات ويكأننـا في معركـة انتخابيـة.

لم يغـير الحكـم الـذي صـدر في اليـوم السـابق بتأييـد حبـس أحمـد دومـة وأحمـد ماهـر ومحمـد عـادل ٣ سـنوات لاتهامهـم بخـرق قانـون التظاهـر أي شيء، ولـن يغير، لأن السـلطة التـي تنقـل مـن تاريـخ المسـتبدين، تواجـه شـعبًا جعـل المسـتبدين تاريخًـا.

تظاهـر أحمـد دومـة ضـد مبـارك والعسـكر والإخـوان والعسـكر تـاني فلـم يصـدر ضـده حكـم نهـائي إلا في حـضرة مـن وعدنـا بـأن نكـون نـور عينيـه، وفشـلت الأنظمـة السـابقة في إثبـات عمالـة أحمـد ماهـر للغـرب فوجـد النظـام الحـالي أن «أي تهمـة تـؤدي الغـرض»، وخـشي ورثـة مبـارك القـول بـأن السـابقين كانـوا أسـوأ منهـم فاعتقلـوا عـلاء عبـد الفتـاح.

-٢-

«هـل مـن الممكـن أن يكـرروا مـا حـدث معكـم لنـا، وأن نجدهـم في يـوم مـن الأيـام يضربوننـا لأي سـبب؟ لا أظـن. هكـذا قلـت لنفـسي ولكـن لا أعـرف لمـاذا كنـت مطمئنـا؟ خالـد وناجـي وعبـد اللـه ومحمـد السـايس أعتـذر لكـم أننـي ظننـت

أنني بمعزل عما حدث لكم وظننت أنهم لن يستطيعوا إعادة الكره معي. ساذج. ما الذي يمنع الشرطة من الاعتداء علي إذا كان حادث الاعتداء عليكم في الترحيلات أو المحكمة مر مرور الكرام».

أحمد ماهر في رسالة من سجنه.

-٣-

«الداخلية» فاشلة في مواجهة الإرهاب وضبط الشارع والقبض على المجرمين وتنظيم المرور والإشراف على موسم الحج، لكنها تثبت كفاءة عالية في تستيف الأوراق وتظبيط الاتهامات وتقديم أدلة إدانة مقنعة للنيابة، وهذا الأمر طبعا لا يسري على مبارك وابنيه ورجاله، فلأجلهم تُفرم المستندات وتقدم طازجة مع صوص هاردات أمن الدولة التالفة.

اتهمت الداخلية «ماهر وعادل» بالدعوة لمظاهرة مجلس الشورى ومخالفة قانون التظاهر الذي كات قد صدر قبلها بساعات، وعندما سلما نفسيهما إلى النيابة وأخلت سبيلهما من محكمة عابدين، ألقت القبض عليهما من أمام المحكمة واتهمتهما بالاعتداء على قوات الأمن وإصابة عدد من الجنود وتحطيم أحد المقاهي وثقب خرم الأوزون.

أعادت الشرطة ماهر وعادل إلى النيابة فقررت حبسهما ثم إحالتهما إلى المحاكمة التي قضت بحبسهما ٣ سنوات، لتخرج من شارع الشيخ ريحان ضحكات شريرة متقطعة.

-٤-

«أصبح اشتياقى للأشياء التافهة موجعا للغاية. أن تدخن سيجارة فى شرفة منزلك، تتمشى ليلاً فى شوارع وسط البلد، تجلس مع رفاقك على القهوة، تأكل الآيس كريم المفضل وأنت تقرأ، تقف بجوار صديق يحتاجك، تتلقى العزاء حتى فى صديق مات.. لا تعرف قيمة الأشياء فى حياتك وإن بدت تافهة إلا بعد فقدانها».

أحمد دومة في رسالة من سجنه

-٥-

عبَد نظام مبارك تحالف ٣٠ يونيو حتى أزاح محمد مرسي ثم أكله، هجّر البرادعي، وفتت تمرد، وأخوَن حمدين، وحبس ٦ إبريل، وتزوج حزب النور عرفيًا.

لم يتبق من التحالف إلا بيان العزل، ولم يترك بيان العزل إلا حربا على الإرهاب، ولم يستفد من الحرب على الإرهاب إلا عبدالفتاح السيسي.

نظام المرشح المحتمل والرئيس الأكيد لا يعرف الحلول الوسط، إما أن تكون معه فتحارب من يحاربه وتحب من تحبه وتعادي من يعاديه، أو تكون ضده فينالك ما ينال المغضوب عليهم.

نسي المشير السابق أنه بينما كان أحمد ماهر ورفاقه يتظاهرون بالبرسيم أمام منزل مرسي كان يقابله هو بابتسامة عريضة وتحية عسكرية، ونسي محمد إبراهيم أنه بينما كان الإخوان يضربون أحمد دومة أمام مقر مكتب الإرشاد، كان يخصص فرقا من القوات الخاصة لحماية المكتب ومرشده ورجاله، ونسيت أحزاب «أبيع ياباشا» أنه بينما كان علاء عبد الفتاح في سجون العسكر كانوا

هـم يخوضـون الانتخابـات عـلى قوائـم الحريـة والعدالـة.

خرجنـا في ٣٠ يونيـو لإعـادة مـصر إلى بعـد ١١ فبرايـر، وخرجـوا في ٣ يوليـو لإعـادة مـصر إلى مـا قبـل ٢٥ يناير.

-٦-

«لتفهـم لمـاذا يحـذرون مـن عـودة دولـة مبـارك رغـم أن دولتهـم فاقـت دولتـه في الإجـرام عليـك أن تتعلـم المنهـج الضمنـي، لتفهـم لمـاذا يحـذرون مـن عـودة التعذيـب رغـم يقينـك أنهـم يعرفـون أن التعذيـب يومـا لم يتوقـف؛ عليـك فهـم المنهـج الضمنـي، لتفهـم لمـاذا يتحدثـون عـن انتهـاك دسـتور كتبـوه وهـم عـلى يقـين أن الدولـة لـن تلتـزم بمـواده؛ عليـك أن تعـود للدسـتور الضمنـي.

نعـم لم تكـن للدسـتور المكتـوب بـل كانـت للدسـتور المسـتتر الـذي طالمـا حُكمنـا بـه واحتاجـت الدولـة لتجديـد مشروعيتـه».

علاء عبد الفتاح في رسالة من محبسه

-٧-

متي يفهم الأغبياء أن السجن لا يحبس حلما؟

متي يفهم الأغبياء أن القتل لا يميت فكرة؟

متي يفهم الأغبياء أن الأموال لا تشتري ذمة؟

متي يفهم الأغبياء أن الجيوش لا تهزم أمة؟

متي يفهم الأغبياء أن الأحرار لا يسجدون لبقرة؟

## الأمعاء الخاوية VS العقول الخاوية

-١-

هل جربت أن تدخل غرفة في بيتك وتغلق الباب عليك لعدة أيام وتخرج ساعة واحدة فقط خلال ٢٤ ساعة؟ هل جربت أن تجلس في مكان ما لا ترى فيه أسرتك لأسبوعين متتاليين؟ هل جربت أن تستيقظ من نومك ولا تتناول طعام الإفطار وتعود من عملك دون أن تتناول الغداء وتذهب إلى النوم دون عشاء؟

المسألة عصية على الفهم فعلا، من الصعب أن تقنع أحدا اعتاد على منافقة رئيسه في العمل وقبول صفعة من الضابط في الكمين بصدر رحب ودفع فاتورة الكهرباء دون السؤال عن سبب الزيادة ورشوة أمين الشرطة حتى لا يحرر له مخالفة، أن معهم على نفس الكوكب شبابًا لا يقايضون الخبز بالكرامة، يقبلون بالسجن والتخوين والتغريب ويمتنعون عن الطعام بإرادتهم للمطالبة بالحرية لغيرهم وبحكم رشيد عادل لوطنهم.

لا تبذل جهدا لإقناع مثل هؤلاء بعدالة قضية المضربين عن الطعام، هم في قرارة نفسهم يعرفون أنهم أفضل منهم، ولذلك يتعلقون بقشة التمويل الأجنبي والانحلال الأخلاقي للسجناء حتى لا يكونون مضطرين لمساندتهم أو الاعتراف بأنهم عاجزون عن دفع ثمن لحرية غيابها بالنسبة لهم أهون من دفع ثمنها الباهظ الذي يدفعه نيابة عنهم هؤلاء القابعون في السجون.

إياك أن تدخل معهم في نقاش من نوعية «لا يوجد دليل واحد علي تلقي النشطاء تمويلا من الخارج» أو أن «السجناء يملكون كل مقومات الحياة الكريمة خارج السجن ولكنهم اختاروه مكرهين قربانا للحرية»، فهؤلاء أحفاد من لم يلوموا على الملك ولا على ضعف الجيش ولا على انتهازية بريطانيا عندما

احتلت مصر عام ١٨٨٢، بل بصقوا على عرابي لأنه طالب بالحرية فجاءهم بالاحتلال.

-٢-

«القضية ليست في الامتناع عن الطعام. كل شيء يروح مذاقه حين تغيب الحرية» هذا ما قاله محمد سلطان حين اقترح عليه أصدقاؤه تناول بعض الطعام في غياب السجانين».

لخص محمد القضية في عدة كلمات، فالطعام متعة من متع الحياة، وفي غياب الحرية يصعب عليك الإحساس بطعم أي شيء، لكن هذا الأمر حصريا على الأحرار لأنه في عصور سابقة، وحالية، كان العبيد يتناولون طعامهم ويضحكون بينما أيدي أسيادهم تجلد أقفيهم.

أضرب محمد عن الطعام لشهور ولحق به علاء عبد الفتاح وماهينور ومحمد عادل وأحمد ماهر إلى جانب عشرات المجهولين الذين تحولوا إلى أرقام في لائحة المضربين الطعام، في معركة الأمعاء الخاوية يحارب محمود باشا، ومدحت رمضان، وأحمد شوقى جاد، وأحمد جمال سعد، ومريم ثابت، وضحى علاء، ومحمود حسن رضوان، وحنان رضا، وفايدة صالح عبد الفتاح، وأحمد علاء خليل، وحازم الدسوقى، ومحمود مطر، وأحمد صياد، وعمرو يسرى، وكمال الدين سعيد، وعشرات غيرهم في جميع سجون مصر.

طبعا لن تعرف أسماء هؤلاء لأن من كانوا يمنحون الضوء الأخضر للإعلام ليعارض مرسي ويسقطه، يضعون أمامه الخطوط الحمراء الآن حتى لا يعرض آيات الظلم المنتشرة في سجون مصر، وعلامات الإخفاق التي تملأ الدنيا خارجها، مطلوب من الإعلام الآن فقط أن يرافق الرئيس في تحركاته ويبذل جهدا مضاعفا لتسويق مشروعاته، الوهمية منها قبل الحقيقية.

لا يطالب المضربون عن الطعام بالحرية لنفسهم فقط، لكنهم يطلبونها

لخصومهم من قبلهم، يطالبون بإلغاء قانون التظاهر الذي وضعته الحكومة فقط لتحبس خصومها السياسيين، بينما أعداؤها الإرهابيون لا يهتمون في المظاهرات أصلا، لذلك فأحمد ماهر ومحمد عادل وسناء سيف، بينما (س) وضع القنبلة أسفل الضباط أمام وزارة الخارجية فانفجرت فيهم وعاد هو إلى بيته سالما.

النتيجة (س) في بيته، وسناء في سجن القناطر.

-٣-

هي معركة بين بطون خاوية وعقول خاوية؛ بين من جاعت بطنه ليشبع عقله ومن ملأ بطنه فنام عقله، بين منطق لا يملك لسانا وبين ألسنة تسوّق اللامنطق.

يواجه المضربون عن الطعام حكاما يعتقدون أن صوت الثورة سيسكت إذا هم أسكتوا عدة أصوات، وجمهورا يعتقد أن النظام الذي يخالف القانون لحبس معارضيه سيحترم نصوصا تتحدث عن حق الناس في عيشة كريمة، وإعلاما يعتقد أنه حين يقدم فروض الولاء للنظام بتشويه معارضيه وشيطنتهم لن يصبه الدور عندما يقرر النظام وضع كروته المحروقة في أقرب سلة مهملات.

الإضراب عن الطعام الذي أعلنه من قبل مانديلا وغاندي وغيرهما سيبقي وسيلة لتعلم الأنظمة الفاسدة إن المناضلين من أجل الحرية لن يغيروا مواقفهم بالاعتقال ولا القهر؛ بل هم مستعدون أيضا للموت جوعا قبل تغيير موقف يقتنعون به.

نعرف جيدا نوعية التعليقات التي ستتذيل كلاما كهذا لتتمني موت جميع المضربين وحبس كاتبه وتخوين كل المخالفين؛ لكن من قال إننا نراهم أو أنهم

أصـلا طـرف في المعادلـة؛ هـم مجـرد جمهـور في مبـاراة كـرة قـدم يهلـل لفريقـه ويسـب المنافـس ثـم يعـود إلي حياتـه دون اسـتفادة مـن تشـجيع ولا ضرر مـن سـباب لتبقـي المبـاراة مسـتمرة بـين طرفيهـا؛ الطـرف الـذي يخـوض المبـاراة ليفـوز بالحكـم، والطـرف الـذي يخوضهـا ليفـوز بالعـدل.

## أسباب نجاح مؤامرة يناير

-١-

«نحتاج أن نتعلم من هذه التجربة الأمريكية فى التعرف على حقيقة ما حدث فى ٢٥ يناير وما بعدها، من خلال إنشاء لجنة مستقلة تتولى تقصى حقائق هذه الفترة والتعرف على ملابساتها، وكيف تجمعت خيوط المؤامرة، وماهى الثغرات التى نفذ منها التمويل وتهريب البشر والسلاح، وكيف ازدادت قوة جماعات الإسلام السياسى إلى هذه الدرجة، وكيف تم إدارة الأزمة وماهى أوجه القصور فى هذا الشأن، وكيف يمكن تلافيها فى المستقبل».

هكذا كتب الدكتور محمد كمال في مقاله المنشور بـ«المصري اليوم» بتاريخ ١٧ أغسطس الحالي معرفا نفسه في المقال بين قوسين على أنه «أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة»، لكنه نسي أن يضيف إلى التعريف وظيفة «أمين التثقيف والتدريب السياسي بالحزب الوطني سابقًا، غير أنني لو كنت مكانه ما فعلت غير ذلك، فثمة أشياء لا تدعو للفخر.

كانت ٢٥ يناير في الأشهر التالية لسقوط مبارك ثورة شعبية أبهرت العالم، ثم أصبحت في الأشهر التالية لحكم مرسي ثورة عظيمة ركبها الإخوان، ثم أصبحت في الأشهر التالية لـ٣٠ يونيو حراكا شعبيا استغلته أطراف خارجية، والآن يدشن مقال القيادي السابق بالحزب «المنحل» لمرحلة جديدة أصبحت الثورة فيها مؤامرة كاملة يجب التوقف أمام أبعادها لضمان عدم تكرارها مجددًا.

غير أن هناك رأيًا يجب أن يسمعه الدكتور كمال يبدو أكثر تعقلًا واعترافًا بأسباب ومطالب وأدوات ثورة ٢٥ يناير، وأكثر تحليلا للأسباب التي أدت إليها

وأنجحتها، وهو مقال تحت عنوان «ثورة المدن من القاهرة إلى كييف»، ويقول في أجزاء منه:

«ما الذى يربط بين المظاهرات الشعبية التى انطلقت فى القاهرة فى ٢٥ يناير ٢٠١١ و٣٠ يونيو ٢٠١٣، وتلك المندلعة حالياً فى العاصمة الأوكرانية كييف؟، يربط بينها أشياء كثيرة منها أن غالبية من شارك فيها كان من المتعلمين، خاصة من الشباب، ولم تكن لها قيادة محددة أو طابع أيديولوجى معين، وارتبطت بقوى سياسية جديدة وليس الأحزاب القائمة، وتمت الدعوة لها من خلال الإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة»، ويختم الكاتب الهادئ مقاله بعبارة: «المدن المصرية وعلى رأسها القاهرة هى شرارة الثورات».

هذا الكاتب يسوّي بين ما حدث في ٢٥ يناير وفي ٣٠ يونيو باعتبار كليهما ثورة شعبية قادها المتعلمون والشباب دون قيادة وارتبطت بالقوى السياسية القائمة، ويعتبر القاهرة شرارة الثورات، هذا الكاتب هو الدكتور محمد كمال، أمين التثقيف والتدريب السياسي بالحزب الوطني المنحل، وهذا المقال منشور في «المصري اليوم» بتاريخ ٢٣ فبراير ٢٠١٤.

-٢-

حسنا. يريد الدكتور كمال أن يتم تشكيل لجان تقصي حقائق لكشف أبعاد مؤامرة ٢٥ يناير وأسباب نجاحها على غرار اللجان التي شكلتها الولايات المتحدة عقب أحداث ١١ سبتمبر، ولأن هذه اللجان غالبا تنتهي إلى لا شيء، ولأن الوقت يداهمنا والمؤامرات تحاصرنا من كل جانب يمكن أن نوفر عليه وعلى الدولة المصاريف، ونكشف له الأسباب التي أدت لنجاح المؤامرة هكذا مجانًا

- فشل الحزب الوطني:

نعم. حزبك فاشل يا دكتور. الحزب الذي كنت تتولى مسؤولية تدريبه سياسيًا فشل في تعلم أبجديات السياسة، أن تحتكر كل شيء هذا يعني أنك في الطريق لخسارة كل شيء، أن تطمع حتى في الفتات الذي كنت تعطيه لمعارضيك وتحجبه عنهم في آخر انتخابات هذا يعني أنك تقتلهم إكلينيكيا وما دام خصمك قد عرف أنه أوشك على الموت سيقتلك معه أو سيقتلك لينجو، أن يقول رئيس حزبك للجميع «خليهم يتسلوا» فهذا خطأ جعله يقضي ما تبقى من سنوات عمره متسليًا في قاعات المحاكم.

- إجرام داخلية «العادلي»:

سأتفق معك أن ٢٥ يناير مؤامرة لإسقاط الدولة وحرمانها من الرخاء الذي نعمت به في عهد مبارك الطويل، لكن لماذا يهاجم مئات الآلاف أقسام الشرطة في كل محافظة ومدينة وقرية في مصر؟ بالقطع ليس كل من هاجم قسما كان له سجين داخله يحاول تهريبه ناهيك عن أن حجز الأقسام أصلا يتواجد به عدد محدود من المحتجزين على ذمة القضايا لحين الفصل في قضاياهم وترحيلهم إلى السجون العمومية، وإذا كان هدف هؤلاء جميعا بالفعل تهريب المحبوسين أو سرقة الأسلحة، فلماذا أحرق الناس نقاط الشرطة والسجل المدني والجوازات ومباني الأكمنة وحتى أكشاك المرور وكل شيء يمت لوزارة الداخلية بصلة؟

الإجابة في أبسط صورها أن ما فعله حبيب العادلي وبعض سابقيه في وزارة الداخلية جعل لكل مصري معها ثأر انتظر أى فرصة لتصفيته، بدءا ممن لفقت لهم قضايا أو اعتقلوا لسنوات بلا تهمة وصولا بصاحب السيارة الذي أجبره أمين شرطة على دفع إتاوة حتى لا يحرر له مخالفة وهمية. لم يشعر أحد بتعاطف يذكر مع الداخلية حينها لأنها لم تتعاطف من قبل مع أحد، ولم يحاول المصريون أن يحموا مبانيها لأنهم لم يشعروا يوما بأنها موجودة لحمايتهم.

- توطين الفقر:

التقرير الصادر عن لجنة الإنتاج الزراعي بمجلس الشورى أواخر ٢٠١٠ وقبل عدة أشهر من سقوط نظام مبارك أكد أن ٤٥٪ من سكان مصر يعيشون تحت خط الفقر، أما تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية فأكد أن ١٪ من سكان مصر يسيطرون على نصف الثروات. أي سياسة اقتصادية تلك التي تجعل نصف سكان بلد يعيشون تحت خط الفقر، ليحيى ١٪ من سكانه؟، وما المؤامرة في أن يخرج الملايين من هؤلاء الذين يعيشون تحت خط الفقر مرددين هتافات تطالب بالعيش والعدالة الاجتماعية؟.

- تجريف الثقافة:

نعم يا مسؤول التثقيف الأول في الحزب الحاكم المنحل، عمد حزبك ونظامك إلى دولجة الثقافة وإدخال المثقفين حظيرة تسيطر عليهم فيها حتى لا ينشروا الوعي أو يفتحوا أعين الناس على حقوقهم، كان مطلوبا أن يكون الشعب جاهلا حتى يسهل خداعه والسيطرة عليه، وأن يكون الخطاب الثقافي الوحيد المسموح به هو الذي تختاره الدولة.

لم تكن السلطة تعلم أن وصايتها على الأفكار ستدفع الأجيال الجديدة إلى البحث عنها بنفسها وبطريقتها، وأن أفكار التحرر والتغيير والثورة ستصل إلى مئات الآلاف عبر وسائل اتصال جديدة لا تعرفها السلطة العجوزة، وكان محمد كمال شريكا في تضليل حزبه بتجاهل ما يجري على مواقع التواصل الاجتماعي، حتى إنه قال في حوار مع جريدة الأهرام يوم ١٠ أغسطس ٢٠١٠ «الحزب الوطني لن يدخل في منافسة وسباق على صفحات الإنترنت فهو عالم خيالي وغير واقعي، والحزب يعايش مشاكل الناس ويسعي لحلها على أرض الواقع».

ومن ثم لم يغير في الواقع شيئا إجبار «كمال» ورفاقه من قيادات الحزب على الاستقالة من مناصبهم أوائل فبراير ٢٠١١ لتفادي الموجة، وانتهى الأمر بسقوط النظام كاملا.

- توريث الفشل:

تحمل المصريون عقودا من الفشل في عهد الرئيس الأسبق مبارك اعتمادا على أن الأيام المتبقية له في الحكم والحياة ربما لا تكون كثيرة، لكن ظهور سيناريو التوريث جعل الكثيرون يتوقعون امتداد معاناتهم مع مبارك لسنوات طويلة أخرى في حكم ابنه جمال، ولذلك كان التحرك ضروريا لقتل هذا المخطط في مهده بإسقاط مبارك نفسه باعتبار ذلك إسقاطا لخليفته المحتمل بالتبعية، حتى محمد كمال الذي كان أحد أصدقاء جمال المقربين داخل الحزب قال في حواره السابق الإشارة إليه في الأهرام قبل ٣ شهور من الثورة: «الحزب ليس له أي علاقة بحملات تأييد جمال مبارك، ومن السابق لأوانه الحديث عن مرشح الحزب لانتخابات الرئاسة».

لم ينف «كمال» احتمالية إتمام سيناريو التوريث, قال فقط: «ليس الآن».

-٣-

لا ننتظر من محمد كمال أن يحب ثورة أطاحت بنظام يمثله وأنهت مشروعا كان يتطلع إليه إلى جوار نجل الرئيس المخلوع، نريده فقط أن يتذكر أن عودته لكتابة المقالات والتحليل والتنظير كان بعد ٣٠ يونيو، لم ينطق الرجل بكلمة ضد الإخوان في فترة حكمهم، ولم يخرج منه تصريح واحد ضد الثورة في مجدها، ولم يساند الجيش والشرطة ببنت شفة في معاركهم وآثر الاختفاء والاختباء حتى زوال الخطر، قبل أن يظهر أخيرًا ليتطاول على ٢٥ يناير في محنتها ويتجاسر على الإخوان بعدما سقطوا.

## يا ثورة ما يهزك «ديب»

(المشهد الحالي)

بعبارات حادة وأداء تمثيلي مبالغ فيه وقف فريد الديب، محامي الجاسوس عزام عزام والرئيس المخلوع حسني مبارك، واصفًا ثورة يناير بالمؤامرة، ومتهما الثوار بالسذاجة والانقياد خلف مجموعة تستغل غضبتهم.

بعبارات حانية وكلمات رقيقة وقف فريد الديب، محامي الجاسوس عزام عزام والرئيس المخلوع حسني مبارك، واصفا موكله بطاهر اليد ونقي القلب وعفيف اللسان والساهر من أجل شعبه ووطنه.

ينسى الديب أنه ترافع لأربعة أيام دون أن يثبت على واحد من المحسوبين على الثورة تهمة التآمر أو النفاق أو التلون، وأنه حين فعل ذلك فعله مع المحسوبين على نظام مبارك فأبحر في أوراق تاريخهم وكتاباتهم وأقوالهم لإثبات نفاقهم وتلونهم.

وينسى الديب أن موكله الذي يصفه بطهارة اليد يجلس في القفص مرتديا البدلة الزرقاء بعد إدانته قضائيا بالاستيلاء على أموال القصور الرئاسية، وأن الرجل الذي يؤكد سهره على راحة شعبه رعى بنفسه عمليات التزوير التي تحدث عنها الديب نفسه في مقال سابق بالمصري اليوم.

لكي تحول مبارك من متهم إلى بطل، يجب أن تحول ٢٥ يناير من ثورة إلى مؤامرة أولا، عندها سيصبح القتل دفاعا عن الوطن كما أصبح القتل الآن حربا على الإرهاب.

(فلاش باك)

«لم أقبل هذه القضية إلا مقتنعاً بأن عزام لم يرتكب جرمًا. وقت ما قابلت القضية إحساسي ويقيني، واستمت في الدفاع عما اعتقدت أنه هو الحق».

فريد الديب بعد قبوله الدفاع عن عزام عزام مطلع ١٩٩٧.

«السجن خمسة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة على المتهم عزام عزام بتهمة التجسس ونقل معلومات عن المنشآت الصناعية المصرية إلى إسرائيل»

محكمة أمن الدولة تقضي بإدانة عزام بالتجسس في يوليو ١٩٩٧.

«قبلت الدفاع عن عزام من أجل مصر ومظهرها الحضاري أمام العالم، من حيث كفالة حق الدفاع لكل متهم يحاكم أمام محاكمها بنص المادة ٦٧ من الدستور».

فريد الديب في تصريحات لجريدة الشرق الأوسط في ديسمبر ٢٠٠٠

«إطلاق سراح عزام بعد قضائه حوالي ثماني سنوات في السجن، بعد قضائه نصف مدة العقوبة، وتم الإفراج عنه بصورة مفاجئة وفي إطار ما وصف بكونه صفقة خرج على إثرها ٦ طلاب مصريين كانت إسرائيل قد ألقت القبض عليهم قرب حدودها، وبعد أن كانت قضية عزام محور حديث أي مسؤول إسرائيلي كبير يزور مصر بدءا من رؤساء الوزراء الثلاثة الذين تعاقبوا على إسرائيل ووصول إلى رؤساء الموساد».

الإفراج عن عزام عزام في ٥ ديسمبر ٢٠٠٤.

«ولدت في دولة إسرائيل، خدمت خدمة العلم في دولة إسرائيل، أنا ضحيت

بـأخ في دولـة إسرائيـل، ولما أنـا أقـع في مشـكلة فـلازم دولـة إسرائيـل تقـف جنبـي. هـذه هـي الدولـة الديمقراطيـة».

عزام عزام في تصريحات لقناة العربية من منزله في ٥ ديسمبر ٢٠٠٥.

يقـال إن فريـد الديـب حصـل عـلى أتعابـه مـن السـفارة الإسرائيلية لكـن لم يقـل أحـد إذا كان قـد أخدهـا بالـدولار أم بالشـيكل، لم يتنـازل عـن أتعابـه بعدمـا حصـل موكلـه عـلى عقوبـة مشـددة، ولم نسـمع أنـه تـبرع بهـا للمستشـفيات الخيريـة بعدمـا أعلـن أنـه كان فقـط يدافـع عـن صـورة مـصر في الخـارج وليـس طمعـا في أي شيء آخـر لا سـمح اللـه، مـن اتهـم بـلاده بتلفيـق التهمـة لمواطـن إسرائيـلي شريـف، طبيعـي أن يتهـم الثـورة بالمؤامـرة التـي دبرهـا الغـرب لإسـقاط الفـاروق عمـر مـن عـلى عـرش عدلـه، ومـن لم يأسـف لدفاعـه عـن جاسـوس إسرائيـلي حتـى بعدمـا ثبتـت إدانتـه، لـن يتراجـع عـن محاولـة تبرئـة رئيـس قتـل شـعبه وأدانتـه المحكمـة مـن قبـل بسرقـة أموالـه.

(المشهد القادم)

سـيأتي آخـرون يكملـون مهمتهـم في محاولـة تشـويه الثـورة وشـيطنتها وتحميلهـا مسـؤولية كل الكـوارث، سـيفعلون ذلـك لأنهـم ببسـاطة لا يملكـون شـيئا يثبتـوا بـه أنهـم كانـوا ناجحـين.

يواجـه رمـوز عـصر مبـارك بسـلطته ومعارضتـه ومريديـه والمنتسـبين إليـه أزمـة حقيقيـة، لا يملكـون شـيئا في تاريخهـم يباهـوا بـه، أو دليـلا قويـا يواجهـون بـه اتهامـات الفسـاد والإفسـاد، أو إنجـازا حقيقيـا يضعونـه في وجـه كل مـن يشـكك فيهـم، لذلـك لا سـبيل لهـم للدفـاع عـن أنفسـهم إلا الهجـوم عـلى الثـورة التـي أسـقطتهم.

سيصفون ٢٥ يناير بأنها حرب كونية ومؤامرة عالمية وصنيعة إخوانية وبأنهم قتلوا المتظاهرين لإنقاذ مصر ولمنع تنفيذ مخططات الغرب، لكن المضحك المبكي أنهم فشلوا في ذلك أيضا فنجحت الثورة وأسقطتهم، ليثبتوا من جديد أنهم فاشلون حتى وهم يقتلون.

رسالة باسم يوسف إلى الرئيس

-١-

يُحكى أن جدارًا ضخما انهار على مواطن أوروبي وآخر عربي، فعلقا تحت الأنقاض وأخذا في الصراخ طلبا للنجدة.

في مطعم قريب من موقع الانهيار كان رئيسان أوروبي وعربي يتناولان الطعام، وعندما سمعا بما حدث هرعا إلى مكان الانهيار فأزاح الرئيس الأوروبي جزءًا من الأنقاض وأخرج مواطنه واصطحبه إلى أقرب مستشفى، ووضع الرئيس العربي لاصقة على فم مواطنه حتى يتوقف عن الصراخ، ثم عاد ليتناول طعامه دون إزعاج.

هناك يدركون أن وظيفة الحاكم ألا يجعلك تصرخ، وهنا يتصورون أن وظيفة الحاكم ألا يسمعك تصرخ.

-٢-

برنامج موقوف و«فيس بوك» مراقب وصحفيون محتجزون بلا تهمة ومعارضون ممنوعون من دخول مدينة الإنتاج الإعلامي. هي بداية مقلقة لا يستحقها شعب رفع شعار الحرية في ثورتين.

نريد أن نكون حَسني النية فعلًا ونعطي الرئيس الجديد فرصة لنرى ما سيفعله، لكنه هو من لا يريد أن يعطينا فرصة لنرى، أرسل المشير السيسي

القمع قبله إلى قصر الرئاسة، ولأنه يؤمن بأن المساواة في الظلم عدل، أبى أن يوّجه الظلم إلى فصيل من شعبه دون الآخر، فكما حُبس الإخوان حُبس ماهر وماهينور وصفوان، وكما أجبرت الضغوط ريم ماجد على التزام منزلها، سيجد باسم يوسف وقتًا كافيًا لمشاهدة مباريات كأس العالم في منزل مجاور.

السلطة الجديدة واضحة في منهجها، والرجل الذي كان يجلس في غرفة واحدة مع مبارك لدراسة كيفية التعامل مع أي انتفاضة شعبية صار رئيسًا، وأدرك أن الثورة حدثت بسبب المشاكل الاقتصادية وهامش الحرية الذي اتسع نسبيًا في أيام مبارك الأخيرة، وتصوَر أنه قد يتفادى ذلك بحل المشاكل الاقتصادية عن طريق هبات وعطايا الخليج من جهة، وسحب هامش الحرية من جهة أخرى.

يتحدث أحد المواطنين إلى مراسلة إحدى القنوات من أمام مسرح راديو، بينما باسم يوسف في الداخل يعلن توقف برنامجه لأجل غير مسمى. قائلا: «مش وقت سخرية وهزار دلوقتي احنا في إيه وللا في إيه؟ لما نبقى نخلص من الإرهاب والبلد تستقر يبقى اللي عاوز يقول حاجة يقولها»، وعندما سألته المراسلة: «يعني انت مؤيد إيقاف البرنامج»، رد بكل وضوح: «أيوة طبعا».

يعتقدون أن القمع ربما يكون وسيلة مناسبة لتجنب مصير سوريا، وهل أوصل سوريا إلى هذا المصير غير القمع؟

-٣-

بدأ السادات عهده بتصفية الحراسات والإفراج عن المعتلقين السياسيين وإغلاق المعتقلات، وبدأ مبارك حكمه بالإفراج عن معتقلي أحداث سبتمبر، فإذا لم يكن السيسي هو الحاكم قبل ذلك فليبدأ عصره بالإفراج عن المعتقلين بموجب قانون التظاهر والمحتجزين منذ شهور بلا تهمة، وليأمر بعودة برنامج باسم يوسف والكتاب الممنوعين إيمانًا منه بحرية التعبير، وبإلغاء الحصار

الإعلامـي المفـروض عـلى كل معـارض أو صاحـب رأي مخالـف.

للتذكِـرة: مـرسي لم يكـن قائـد القطـار الـذي دهـس أتوبيـس الأطفـال ولم يكـن ضمـن قـوات الإخـوان التـي هاجمـت معتصمـي الاتحاديـة، ومبـارك لم يطلـق رصاصـة واحـدة تجـاه متظاهـر ولم يضـع سـلك كهربـاء عـلى جسـد معتقـل، لكـن سـكوت المحكـوم عـلى الظلـم مشـاركة فيـه، وسـكوت الحاكـم عـلى الظلـم أمـرٌ بـه.

-٤-

سـيادة الرئيـس الجديـد القديـم عبـد الفتـاح السـيسي، بعدمـا اسـتقر بـك المقـام في قـصر الرئاسـة ابحـث عـن مؤتمـر صحفـي أجـراه أحـد مواطنيـك وقـال فيـه بوضـوح إنـه سـيوقف برنامجـه خوفـا مـن تهديـدات طالتـه وطالـت أسرتـه، وبعـد ضغـوط مورسـت عـلى القنـاة التـي يعمـل فيهـا لإجبارهـا عـلى إيقـاف البرنامـج.

اسـتدع هـذا المواطـن إلى قـصر الرئاسـة واسـأله عـن هويـة مـن هـدده ومـن مـارس الضغـوط عـلى قناتـه، صـغ بيانـا بعـد اللقـاء قـل فيـه إن تهديـد أي مواطـن مـصري هـو تهديـد لـك شـخصيا، وإن البرنامـج سـيعود تحـت رعايتـك، وإن أحـدا لـن يراقبـه إلا ضمائـر صانعيـه.

إن لم تكـن راعيًـا للإيـذاء، فاطلـب ممـن يتطوعـون بإيـذاء النـاس لمجاملتـك أن يتوقفـوا فـورًا، لأن جمهوريـة يحكمهـا الخـوف لـن تكـون «قـد الدنيـا».

## مقال عن - أستغفر الله العظيم - المصالحة

-١-

أُشفق على النظام وعلى الإخوان وعلى الشعب من وقت يعلن فيه الجميع اضطرارهم إلى الجلوس على مائدة المفاوضات، ليقدم الجميع تنازلاتهم، ويتخلوا عن جزء من طموحهم ومكاسبهم.

سيكون النظام الذي أرضع الناس كراهية الإخوان، وأقنعهم بأنهم سيستيقظون في يوم ليجدوا الجماعة قد اختفت تماما من الوجود، مضطرا لمصارحتهم بأنه لا بديل عن مصالحة وطنية تحاسب البعض وتعفو عن البعض، وتحتوي الجميع، لإنهاء الاحتقان والعنف والانقسام.

سيكون قيادات الإخوان الذين أقسموا لأنصارهم مرارًا على عودة محمد مرسي إلى الحكم وتعليق قادة «الانقلاب» على أعواد المشانق، مضطرين لمفاوضات غاية أحلامهم فيها تتلخص في أن يحصل مرسي وإخوانه على أحكام مخففة، وأن تعود الجماعة لممارسة السياسة بشروط السلطة والمجتمع.

ستقبل جماهير السلطة والإخوان بالصيغة الجديدة، ويبررونها بعدما كانوا يبررون عكسها، وسيعتبرونها من ضرورات المرحلة كما كان جمهور السلطة يعتبر إبادة الإخوان واجبا وطنيا، وكما كان جمهور الإخوان يعتبر الإرهاب رد فعل.

سينظر بعضنا إلى بعضنا ليسأل: لماذا أضعنا كل هذا الوقت حتى نفهم أن المغامرة ببعض الكبرياء أفضل من المغامرة بأرواح الآلاف.

-٢-

تعيش مصر صراعًا مكتومًا بين علي الحجار وحمزة نمرة، بين فصيل يتبنى خطاب «انتوا شعب وإحنا شعب» وفصيل يتساءل «طريق الكره آخرته إيه؟»، والفارق أن الفصيل الأول يمتلك إعلاما قويًا وأموالًا طائلة وكل أدوات التأثير في الناس، والفصيل الثاني يمتلك «ترينج أبيض وشبشب زيكو» وكل أدوات الحبس الاحتياطي.

بلغت عائدات السياحة ١٢,٥ مليار دولار في ٢٠١٠ عندما كان فساد مبارك ورجاله ينهش مصر، وبلغت عائدات السياحة ٨,٨ مليار دولار في ٢٠١١ عندما كان الانفلات الأمني يعصف بمصر، وبلغت عائدات السياحة ١٠ مليارات دولار في ٢٠١٢ عندما كان الحكم الديني يستبد بمصر، وبلغت عائدات السياحة ٥,٩ مليار دولار في ٢٠١٣ بعدما زار الاقتتال الأهلي مصر.

ربما لا نحتاج أرقامًا جديدة لنثبت أن الاقتتال الأهلي أسوأ في مقدماته ونتائجه من الاستبداد السياسي والديني، وأخطر آثارا من الانفلات الأمني.

سنخطو أول خطوة على طريق الحل عندما تقتنع السلطة بأن الإخوان لن ينتهوا، ويقتنع الإخوان بأن مرسي لن يعود، ويقتنع الناس بأن الأوطان لا تُبنى بالكراهية.

يسألون: هل ستحدث المصالحة؟ ونتساءل: متى وكيف وبعد كم ألف قتيل ستحدث المصالحة؟

-٣-

بينما كنا نحاول أن نقضي على الثأر في الصعيد «حبينا الموضوع قوي» فجعلنا الثأر أسلوب حياة، ووضعنا دستورًا من مادة واحدة اقترحها الفقيه القانوني

عـادل إمـام في فيلـم سـلام يـا صاحبـي حـين قـال «هتـضرب هنـضرب هتكـسر هنكـسر هتحـرق هنحـرق.. ومـش برجالتنـا بإيدينـا».

يسـقط عـشرات القتـلى في صراع بـين عائلتـين بقريـة فقـيرة في الصعيـد، تسـتمر الخصومـة لسـنوات قبـل أن يفهـم الجميـع أن الرصـاص لا ينتهـي وكذلـك البـشر، يقبـل الطرفـان بالجلـوس سـويًا، رغـم أنهـم نهـروا أبناءهـم الذيـن اقترحـوا الصلـح في أول الخصومـة، واتهموهـم بالضعـف وعـدم الانتـماء.

وفي صـوان ضخـم تعقـد العائلتـان جلسـة صلـح يحضرهـا المحافـظ ومديـر الأمـن وممثـل عـن الأزهـر، تتبـادل العائلتـان حمـل الأكفـان ثـم تتبـادلان الأحضـان، يتحـدث المحافـظ عـن ضرورة المصالحـة بـين أبنـاء البلـد الواحـد، ويتحـدث مديـر الأمـن عـن أن الصراعـات لا يمكـن أن تُحسـم بالبنـادق، ويتحـدث ممثـل الأزهـر عـن إصـلاح ذات البـين ثـم ينظـر إلى الأرض في خشـوع، ويتلـو آيـة «إنمـا المؤمنـون إخـوة فأصلحـوا بـين أخويكـم واتقـوا اللـه لعلكـم ترحمـون».

تتسـاءل أرواح القتـلى في القبـور عـن المكاسـب التـي حصلـت عليهـا العائلـة مـن قتلهـم، ويتسـاءل المحبوسـون خلـف القضبـان عمـن سـيعوضهم عـن سـنوات عمرهـم التـي ضاعـت في معركـة بـلا منتـصر، ويتسـاءل الجميـع إذا مـا كان للدولـة دور آخـر تقـوم بـه بخـلاف نقـل القتـلى إلى المشرحـة والمتهمـين إلى السـجون وإلقـاء الخطابـات البليغـة في جلسـات الصلـح.

-٤-

«إذا نجحـت الجماعـة في الانقـلاب عـلى نفسـها، والانقـلاب عـلى الذيـن أغرقوهـا في هـذه الصدامـات، فيمكـن أن يكـون هنـاك تطـور في المسـتقبل. فصيغـة الإسـلام الحضـاري والإسـلام السـياسي المعتـدل هـي الصيغـة الأنسـب لأن تكـون شريكـة في الحـوار مـع السـلطة القادمـة في البـلاد».

أحمد المسلماني، المستشار الإعلامي لرئيس الجمهورية المؤقت، في حوار مع صحيفة الشرق الأوسط اللندنية.

«أدعوهم للعودة إلى الصف الوطني لأن الزمن لن يعود للوراء، وعليهم أن يفيقوا من أوهامهم وينبذوا العنف ويعودوا للانخراط في الصف الوطني بدلاً من العزلة، مفيش قدامهم بديل أو خيار غير الرجوع لمصر الشعب والوطن».

محمد إبراهيم، وزير الداخلية، في تصريحات لوكالة الأنباء الرسمية.

«الإخوان من الممكن أن يصبحوا جماعة معارضة بطريقة سليمة، والدستور لم يتضمن مواد تمنعهم من العمل السياسي، فعلى الإخوان أن يراجعوا مواقفهم وسياستهم مرة أخرى، ومازالت أمامهم فرصة ليثبتوا للشعب المصري أنهم جماعة ليست إرهابية».

عمرو موسى، رئيس لجنة الخمسين، في حوار مع لميس الحديدي.

فجأة لم تعد المصالحة ودمج الإخوان في المجتمع رجسًا من عمل الشيطان، ولم تعد الإشارة إلى حتمية المصالحة الوطنية دليل خيانة و«نحنحة ثورية»، حيث تحدث عنها ثلاثة من رموز النظام الحالي في أسبوع واحد.

تحدثوا عن المصالحة الآن فقط لأنهم رأوا أن الوقت مناسب لذلك، فقط لأن لحومهم محرمة على الإعلام، فقط لأنهم صناع القرار، ونحن دورنا في الفيلم دفع ثمن قراراتهم فحسب.

## تسريبات ممنوعة من النشر

**تسريب «١»**

التاريخ: مارس ٢٠١١

الوصف: محمد الشاب الثائر يتحدث إلى صديقه كريم من أمام مقر أمن الدولة بمدينة نصر

محمد: أيوه يا كريم انت فين؟

كريم: أنا في البيت. فيه حاجة ولا إيه؟

محمد: في البيت إيه يا عم انزل تعالى لنا مدينة نصر عند مقر أمن الدولة بسرعة.

كريم: أمن الدولة؟ بتعملوا إيه عند أمن الدولة؟

محمد: جينا ومعانا ناس كتير عشان نقضي على آخر وجود لدولة مبارك. لازم نخلص من الصنم ده بقى أومال إحنا عملنا ثورة ليه.

كريم: بس ده ممكن يستفز الجيش واحنا محتاجينه في صفّنا في الفترة دي.

محمد: يا عم الجيش موجود وسابنا ندخل والعساكر كانوا بيهزروا معانا. الجيش فاهم الحالة الثورية اللي فيها البلد والقيادات بتاعته معانا على نفس الخط. هم بس طلبوا مننا نسلم الحاجات اللي نلاقيها جوه للشرطة العسكرية عشان النيابة تفحصها وعشان لو فيه حاجة منها تخص الأمن القومي.

كريم: بس أنا مش فاهم برضه إيه الحكمة إننا نروح هناك. إحنا ثورتنا سلمية وعاوزين نحافظ عليها كده.

محمد: يا كريم إحنا لا كسرنا حاجة ولا خدنا حاجة. كل الحكاية إننا بنوصل رسالة إن نظام مبارك وقع خلاص، وإن أمن الدولة اللي كان إيد مبارك اللي بتقتل وتعذب وتخفي أي حد معارض انتهى، ومن النهارده خلاص هنقدر نعيش في بلدنا بكرامة من غير ما حد يتجسس علينا ولا يقبض علينا من غير تهمة، ولا حد يقتلنا عشان يحمي نظام ولا رئيس، البلد رجعت لنا أخيراً.

كريم: بس أنا خايف برضه. أمن الدولة مش مجرد مبنى. أمن الدولة موجود في كل المصالح والهيئات والجامعات والجوامع والشوارع، لا حد يعرف مين شغال فيه ولا مين متعاون معاه، فمش عشان دخلنا المبنى الموضوع هيبتدي بالعكس ده ممكن يكون بدأ.

محمد: يا عم هو أنت غاوي تنكد علينا وتبوظ لنا كل حاجة وخلاص؟ انزل بس افرح معانا وعيش اللحظة التاريخية دي عشان تحكيها لأولادك زي ما أنا هحكيها وولادي وبعدين ربنا يسهل في الباقي. وبعدين بقولك الجيش معانا وبيساعدنا وفي ضهرنا ومستحيل يسمح لدولة مبارك ترجع.

كريم: ماشي أنا هلبس وجاي لك حالاً.

(ملحوظة: محمد مات برصاصة من مسدس ضابط شرطة في أحداث محمد محمود بينما حُكم على كريم عسكرياً بالسجن ٥ سنوات بتهمة خرق حظر التجول وحيازة سلاح ناري).

**تسريب «٢»**

التاريخ: أكتوبر ٢٠١٣

الوصف: ضابط كبير في جهاز أمني يتحدث إلى مذيع مشهور

الضابط: ألو ازيك يا أستاذ أخبارك إيه؟

المذيع: الحمد لله يا باشا كله تمام. انت عامل إيه؟

الضابط: أنا تمام. إيه أخبار الشغل؟

المذيع: زي ما انت شايف عاملين كل اللي نقدر عليه والله بس مش عارف هنعمل إيه لشوية العيال اللي عاملين لنا دوشة دول. كل ما نبني حاجة هم يهدوها ويعملوا لنا قصص على الفيس بوك. مش عارف والله انتوا مش بتلموهم وتريحوا البلد منهم ليه.

الضابط: متقلقش نخلص بس من اللي في إيدينا دلوقتي عشان مش عاوزين نفتح جبهات كتير بس كلهم تحت السيطرة متقلقش وقريب هتسمع أخبار كويسة.

المذيع: يا ريت والله أحسن دول زوّدوها قوي، وبعدين أنا عايز أعرف العيال دي بتجيب فلوس منين، أكيد فيه جهات خارجية بتمولهم وتدفع لهم عشان يعملوا كده، طلعوا لهم الملفات دي عشان نتفرغ للحرب على الإرهاب.

الضابط: احنا لحد دلوقتي معندناش حاجة تدينهم للأسف. أصلهم متدربين كويس إزاي يغطوا على أنشطتهم المشبوهة. تدريب بره بقى يا سيدي.

المذيع: مممم طيب والحل؟ هنسيبهم مبرطعين في البلد كده، وبيعملوا اللي

هـم عاوزينـه؟

الضابـط: لا لا متقلقـش قريـب هنشـيلهم شـيلة محترمـة. شـوية تسـجيلات كـده مـن الـلي قلبـك يحبهـا. هـي أي نعـم مـش حاجـة تحبسـهم يعنـي بـس هتلهيهـم عننـا وتخليهـم مشـغولين بالدفـاع عـن نفسـهم بـدل مـا يبقـوا فاضيـين للشـوشرة علينـا.

المذيع: طيب وإذاعة الحاجات دي مش يبقى فيها مشكلة قانونية؟

الضابـط: عيـب يـا أسـتاذ ده انـت قديـم. انـت مشـفتش فيلـم أيـام السـادات ولاّ إيـه؟ أمثالنـا هـم الـلي بيعملـوا القوانـين. هاهاهـا.

المذيع: هاهاها.

(ملحوظـة: الضابـط الـوارد في هـذا التسريـب يحمـل الرقـم القيـاسي كأكـثر شـخص وردت عـلى لسـانه كلمـة احـترام القانـون في ٢٠١٣)

**تسريب «٣»**

التاريخ: ديسمبر ٢٠١٣

الوصف: ناشط سياسي معروف يتحدث إلى والدة أحد شهداء الثورة

الناشط: إزيك يا ماما كل سنة وانتي طيبة.

أم الشهيد: وانت طيب ربنا يخليك.

الناشط: عاملة إيه وازي صحتك؟

أم الشهيد: الحمد لله على كل حال.

الناشط: مالك صوتك فيه حاجة. انتي تعبانة؟

أم الشهيد: لا مش تعبانة بس زعلانة.

الناشط: زعلانة من إيه ومن مين؟

أم الشهيد: زعلانة منك انت وزمايلك. طول الفترة اللي فاتت مكنتش حاسة إن ابني مات. كنت بشوفه فيكم وبحس إنه مات عشان حاجة تستاهل. لكن دلوقتي بدأت أحس إنه بيموت في اليوم ألف مرة وأنا بشوف كل اللي مات علشانه بيضيع.

الناشط: طيب وده يزعلك مننا في إيه؟ ما انتي شايفة كل اللي بيحصل ده غصب عننا واحنا مفيش حاجة في إيدينا نعملها.

أم الشهيد: كان في إيديكم حاجات كتير قوي تعملوها قبل كده ومعملتوهاش. كان في إيديكم تحطوا إيديكم في إيد بعض لكن كل واحد راح في ناحية فبقى ضعيف من غير زمايله، وبدل ما تشتركوا في حاجة كبيرة تقوى بيكم وتواجهوا بيها رجالة مبارك اللي عاوزين يرجعوا، ضحكوا عليكم بالكاميرات فانشغلتوا بيها ومنزلتوش للناس تعرفوهم الحقايق وتستقووا بيهم، اللي بيحصل دلوقتي انتوا المسؤولين عنه قبل غيركم.

الناشط: أنا معنديش حاجة أقولها ولا أرد بيها على كل اللي انتي قلتيه.

أم الشهيد: وأنا مش مستنية منك رد. مستنية منك ومنكم فعل.

الناشط: طيب عاوزة مني حاجة دلوقتي؟

أم الشهيد: عاوزة ابني.

(ملحوظة: هذه آخر مكالمة أجراها الناشط قبل القبض عليه بتهمة التحريض

عـلى التظاهر).

***

ربمـا تكـون تسـجيلات مـن هـذا النـوع «الافـتراضي» في درج واحـد إلى جانـب التسـجيلات التـي أذاعهـا بعـض الإعلاميـين مؤخـرًا لكنهـا حتـمًا لـن تعـرف طريقهـا إلى النـور؛ لأن مسـاعد وزيـر الداخليـة لشـؤون التسريبـات ينتقـي جيـدًا التسـجيلات التـي يريـد لهـا أن تصـل إلى أذن عزيـزه المسـتمع!

ركـن سـوء النيـة متوفـر بشـدة في غـزوة التسريبـات التـي اجتاحـت الإعـلام مؤخرًا، فالشـخصيات التـي خرجـت تسريباتهـم ينتمـون جميعًـا إلى جيـل يناير بثوريتـه واندفاعـه، بأخطائـه وهفواتـه، رغبتـه في الإصـلاح وعجـزه عـن الإمسـاك بطـرف خيطـه، أمـا وزراء مبـارك وحاشـيته ورجـال أعمالـه وزبانيتـه وأركان دولتـه ومجرميـه فجميعهـم ملائكـة أو ربمـا جميعهـم لا يتحدثـون في التليفونـات!

لكـن رفاهيـة مبالـغ فيهـا أن تتحـدث عـن الحريـات الخاصـة بينـما الحريـات العامـة منتهكـة، سـذاجة مبالـغ فيهـا أن تسـتغرب لإفشـاء الأسرار الشـخصية بينـما لا تأمـن عـلى حياتـك إن خرجـت في مظاهـرة، طمـوح مبالـغ فيـه أن تطالـب بعيـش كريـم في وطـن لا يعـترف أصـلاً بحقـك في أن تعيـش.

التسـجيلات وُجـدت أصـلاً للابتـزاز لا للنـشر، فحـين تصـل لمرحلـة النـشر يعنـي ذلـك أنـه لا جديـد لديـك ولا سـلاح آخـر في يديـك، والتسريبـات المشـكوك في صحتهـا لـن تُغـيّر في الواقـع شـيئًا، فـ«تايـم لايـن» الثـورة بـدأ بـ«الكنتـاكي والأجنـدات وتامـر بتـاع غمـرة» ومـر بـ«التمويـلات ونشـطاء السـبوبة ومنهـم للـه بتـوع التحريـر» حتـى وصـل إلى محطـة التسريبـات، ورغـم ذلـك كانـت ٢٥ يناير تنتـصر في كل مـرة كلـما ظـنّ الجميـع أنهـا انتهـت للأبـد.

لا جديد يذكر ولا قديم يعاد.. الثورة مستمرة.

## دفاعا عن ضابط جيش

بعد خروجي من شرم الشيخ بساعة ونصف وبعد أن قطعت ٢٠٠ كيلو متر في الطريق إلى القاهرة، توقفت السيارة بشكل مفاجئ بعد أن ارتفع مؤشر الحرارة إلى أقصى درجاته، نزلت لاستطلاع الأمر ففوجئت بحدوث ثقب في أحد خراطيم التبريد مما أدى إلى فقدان مياه التبريد بشكل كامل.

بحثت في السيارة عن مياه فلم أجد إلا زجاجة واحدة لمياه الشرب تبخرت فور وضعها في «الراديياتير»، نظرت حولي فلم أر إلا الجبال ولم أسمع إلا الصمت، ونظرت إلى زوجتي فوجدت علامات التوتر والفزع على وجهها ولفت ذراعيها على صغيرنا محاولة طمأنته حتى لا يتسرب القلق والخوف إليه.

وقفت على الطريق منتظرا مرور سيارة أسأل قائدها بعض الماء لكن السكون كان يخيم على المكان بشكل كامل، حتى السيارات القليلة التي كانت تمر لم تكن تتوقف لإشارتي، وعندها كل الحق، ففي هذا المكان وفي هذه الظروف من الصعب أن يتوقف أحد لإشارة شخص يقف على الطريق، فما يدريه أن هذا الواقف في حاجة إلى المساعدة فعلا وليس مجرما يستهدف سيارته أو حياته؟

بعد توقف طويل جعل من هذه اللحظات هي الأسوأ في حياتي وزوجتي توقفت سيارة، نزل قائدها سألني عن المشكلة فحكيت له ما حدث وطلبت منه بعض الماء لكنه بحث في سيارته فلم يجد فاعتذر بأدب وغادر، وبدأت رحلة البحث عن طوق نجاة آخر ناظرًا مرة على الدروب الجبلية القريبة ومرة على زوجتي المتجمدة خوفا في السيارة وابني الذي لا يفهم شيئا مما يحدث، وأتوقع الأذى من كل مكان وفي أي وقت، ولا أملك من أمري إلا الانتظار والدعاء.

من بعيد ظهرت سيارة جيب عسكرية خلفها ثلاث سيارات لنقل الجنود،

تابعتها حتى اقتربت مني فأشرت للسيارة الأولى بزجاجة مياه فارغة، كنت أتوقع عدم وقوف القوة خوفا من أن يكون كمينًا منصوبا لهم، وصدقت ظنوني، فقد مرة القوى من الجهة المقابلة بسرعة كبيرة دون أن تقف فنظرت إليها وإلى الزجاجة الفارغة بيأس.

فجأة سمعت صوت «فرامل شديدة»، وإذا بالسيارة الجيب توقفت وتعود إلى الخلف حتى استقرت أمامي ونزل منها ٤ ضباط شباب كان أكبرهم رائدا والباقون بين نقيب وملازم، سألني الرائد عن المشكلة فأخبرته بحاجتي إلى المياه، نظر بتعاطف إلى زوجتي وابني وتحدث في جهاز لاسلكي كان معه مع سيارات نقل الجنود التي توقفت على بعد ٢٠٠ متر منا وطلب منها أن تنصرف ثم طلب مني كل الزجاجات الفارغة الموجودة في سيارتي وطلب من الضباط الثلاثة الوقوف معي لتأميننا حتى يذهب لإحضار مياه.

وبعد ربع ساعة تقريبا عاد الرائد وقد ملأ كل الزجاجات الفارغة ومعها «جركن» كبير الحجم لتكفيني المياه حتى الوصول إلى أقرب ميكانيكي أو أقرب مصدر مياه آخر، ثم استأذن في الانصراف بعد أن ملأت السيارة بالمياه وعاد محركها للدوران وانخفض مؤشر الحرارة إلى المعدل الطبيعي.

واصلت السير على هذا الحال حتى وصلت إلى مدخل السويس، وكنت أتوقف أمام كل استراحة لإعادة ملء الجركن والزجاجات وتبريد السيارة ومواصلة السير، ومازال «الجركن» في سيارتي يذّكرني بهذا الموقف كلما فتحت «الشنطة».

***

لم أقل ذلك لإثبات أن الجيش منا ونحن منه، ولا أن خلافنا مع قياداته التي تورطه أحيانا في العمل السياسي وأحيانا في الدم ويتعارض طموحها مع رغبتنا في إقامة دولة مدنية يحكمها العدل، ولا أن ضباطنا وجنودنا يعملون في سيناء في

ظروف أقسى من أن نتصورها، ولا أن نظام مبارك والأنظمة التي تلته ارتكبت أبشع جرائمها حين أخلت سيناء من البشر والتنمية وجعلتها مكانًا مخيفًا يستوطن فيه الفقر والإرهاب، فكل هذا معلوم بالضرورة ولا يحتاج إلى إثباتات.

رويت هذه القصة لأنني كلما وقعت عيناي على «الجركن» المستقر في سيارتي سألت نفسي، تُرى هل ما زال صاحبه الشهم حيًا؟ وهل نجا رفاقه الذين أمنوني وأسرتي لحين عودة زميلهم بالمياه من العمليات الإرهابية التي شهدتها سيناء بعدها؟ وإذا كان أي منهم قد نال الشهادة، هل وجدت أسرته وأمه من يهدئ روعها ويقف بجانبها في مصيبتها كما وقف ابنها بجانب شخص لا يعرفه في مكان وظرف لا يأمن فيه كل من يرتدي البدلة العسكرية على حياته؟.

سيحدثونك فورا عن البدو الذين يُقتلون في بيوتهم بقصف عشوائي، والأبرياء الذي قتلهم الشرطة والجيش بالشبهة، سيذكّرونك بدماء رابعة والنهضة ورمسيس ومحمد محمود ومجلس الوزراء، نعم نذكرهم ونطالب بحقهم ونسعى لمحاسبة من قتلهم أيا كانت الرتبة المعلقة على كتفه، لكن هذا لا ينفي أن نذكر المظلومين على الطرف الآخر، ونذكّر الجميع كلما اختلطت الأوراق أننا لا نكره جيشنا ولا ينبغي لنا أن نكرهه، وأننا حين نطالب بإصلاحه وإبعاده عن السياسة نفعل ذلك حرصًا عليه حتى تكون الصورة المعلقة في أذهاننا عن جيشنا صورة الضابط الذي يمدنا بالماء حين نحتاجه، لا الجندي الذي أغرقنا بماء بوله.

يا هذا الذي لا أعرف اسمك، يا هذا الذي لا أعرف إن كنت حيا أم نلت الشهادة، إني ممتن لك، وسأحكي لابني حين يكبر ما فعلته معه ومع والديه، حتى يستطيع حين يخرج غدا في مظاهرة ضد حكم العسكر أن يفرّق بين رفضنا لحكم رفاقك، وحاجتنا الدائمة لك ولرفاقك.

## الثورة نجحت يا معوض

معوض عادل شاب مصري أصيب في أحداث محمد محمود ودخل في غيبوبة طويلة استمرت ثلاث سنوات، بدأ معوض يستعيد وعيه نسبيًا، وبالطبع سيسأل عن ما حدث منذ إصابته التي سرقت أجمل سنوات عمره، وبالطبع سيعود إلى غيبوبته إذا صارحناه بما حدث خلال هذه السنوات وما وصلنا إليه الآن، لذلك يجب أن نحكي لمعوض تاريخًا افتراضيًا يليق بما قدمه من تضحيات.

-١-

بعد أحداث محمد محمود سادت حالة من الغضب الشعبي كل أرجاء مصر بسبب ضخامة عدد الشهداء والمصابين ومن فقدوا أعينهم في الأحداث، وتحت الضغط الشعبي والحقوقي اضطرت وزارة الداخلية إلى تقديم عدد من الضباط المتهمين بقتل المتظاهرين واصطياد عيونهم إلى المحاكمة الجنائية.

في محاكمة عادلة وعاجلة واجهت المحكمة المتهمين بالفيديوهات التي تؤكد تورطهم في الأحداث وبأقوال الشهود الذين رأوهم يوجهون بنادقهم نحو المتظاهرين، وعندما أدرك الضباط والأمناء أنهم سيدفعون وحدهم الفاتورة اعترفوا بتلقيهم تعليمات من رؤسائهم بعدم السماح للمتظاهرين بالوصول إلى محيط الوزارة ولو باستخدام الرصاص الحي.

أدت اعترافات الضباط إلى إدخال عدد من قيادات الداخلية كمتهمين في القضية، وصدرت أحكام ضد نحو ٣٠ من الضباط والأمناء والقيادات بين الأشغال الشاقة المؤبدة والسجن ١٠ سنوات بتهمة قتل متظاهرين سلميين، خاصة أن وزارة الداخلية فشلت في تقديم دليل واحد على حمل المتظاهرين

للسلاح.

-٢-

تسببت الأحداث المترتبة على أحداث محمد محمود في تعامل الأجهزة الأمنية بشكل مختلف مع المعتصمين أمام مجلس الوزراء احتجاجًا على تعيين الدكتور كمال الجنزوري رئيسًا للحكومة، طلب المجلس العسكري عقد لقاء مع ممثلين عن الاعتصام لسماع وجهة نظرهم ومحاولة إقناعهم بإنهاء الاعتصام.

تشَكَل وفد من المعتصمين على رأسه الشيخ عماد عفت والدكتور علاء عبد الهادي وأحمد منصور وتم عقد اجتماع مع قيادات المجلس العسكري تحدث فيه المعتصمون عن خطورة تعيين أحد وجوه نظام مبارك على رأس الحكومة في مثل هذا التوقيت، واقترح الثوار تعيين شخصية اقتصادية مستقلة لإدارة تلك المرحلة.

بعد عدة أيام أعلن المجلس العسكري في بيان طويل تراجعه عن فكرة تعيين الجنزوري استجابة للرغبة الشعبية التي يحكم المجلس أصلا بمرجعية منها مؤكدا أن هذا التراجع لا ينتقص من قدر قيادات القوات المسلحة لأن هدفهم الأوحد تجاوز هذه المرحلة الحرجة والعبور بالثورة إلى بر الأمان، وقرر تعيين شخصية اقتصادية غير محسوبة علي أي تيار سياسي لرئاسة مجلس الوزراء.

-٣-

بدأ الدكتور سعد الكتاتني الجلسة الأولى لبرلمان الثورة بالوقوف دقيقة حدادًا على أرواح شهداء الثورة، رفض الرجل اقتراحًا جاءه من أحد النواب بإرسال برقية شكر للمجلس العسكري، قال الكتاتني إننا لو فعلنا ذلك لابد أن نرسل رسالة مماثلة لكل مواطن مصري لأنه كان شريكا في نجاح الثورة وانتخاب البرلمان، فضلا عن أن الجيش لم يكن له أن يفعل دون ذلك فهو جيش الشعب وانحيازه للشعب هو القرار المنطقي وما غير ذلك هو الشاذ.

كانت الكلمات الأولى للنواب مشجعة، تعهد النائب الإخواني أن ينسى انتماءه لجماعته تحت القبة وأن يعمل لصالح الشعب المصري بمختلف انتماءاته، وكذلك فعل النواب الحزبيون والمستقلون، تعاهد الجميع على أن يكون أداء المجلس رسالة قوية للشعب بأن مصر تغيرت وأنه انتهى عصر المجالس التي تعمل لمشروعات خاصة وطموحات خاصة تتعارض مع طموحات الشعب الذي انتخبها.

اتفقوا على أن ينحوا المسائل الخلافية جانبًا وألا تستغل الأغلبية نفوذها في قمع الأقلية وفرض رأيها الأوحد، بدأت المناقشات ببحث آليات إعادة الأموال المهربة، وتطبيق الضريبة التصاعدية، وتوجيه الدعم لمن يستحقه، ومد مظلة التأمين الصحي، وسن القوانين المشجعة للاستثمار والجاذبة للسياحة، وتكليف الحكومة بتشغيل المشروعات المتوقفة.

كان المجلس يدرك أنه يجب أن يبدأ بنفسه، وأن الروح بين النواب ستنعكس بين المواطنين، فإذا انتشر خطاب الكراهية والخلاف بين النواب تعمق الاستقطاب في الشارع، وإذا سادت روح التعاون من أجل الوطن داخله ستنقل إلى الخارج.

كان النواب على قدر المسؤولية فعلًا.

-٤-

التزمت جماعة الإخوان بتصريحات مرشدها العام ولم تقدم مرشحا للرئاسة لأنه لن يكون في صالح مصر ولا الجماعة، حتى عندما أعلن اللواء عمر سليمان ترشحه لم تقرر الدفع بمرشح وأعلنت أنها ستلقي بثقلها خلف مرشح رئاسي تتوافق عليه القوى السياسية.

كانت جماعة الإخوان تدرك الفخ الذي يريد بقايا مبارك تدبيره لها، يدفعوها للدفع بمرشح فإن نجح وضعوها في مواجهة شعب تتضاعف طموحاته يوما

بعد يوم، وإن فشل أثبت نظام مبارك أنه ما زال أقوى من الجميع.

قادت الجماعة عملية التوافق على المرشح الرئاسي باعتبارها أكبر قوة منظمة في الشارع وقتها، وتوسطت لإنهاء الخلاف بين قوى اليسار والليبراليين على اختيار المرشح ودعتهم لأن يحذوا حذوها في تغليب مصلحة الوطن علي مصلحة الجماعة، أصبحت الأمور أكثر سهولة بعد استبعاد عمر سليمان من سباق الترشح وفاز المرشح التوافقي بالرئاسة، ودخل القصر الجمهوري مدينا بالعرفان لكل من ساندوه من قوى الثورة متعهدا أن يعمل لتحقيق أهدافها.

أصبح لدينا برلمان قائم على التوافق ورئيس جاء بالتوافق وبدأ الجميع في العمل من أجل تحقيق أهداف الثورة وتسابقت القوى السياسية المختلفة على التقرب للمواطن باقتراح القوانين المنحازة له والعمل في الشارع على خدمته، وفي ظل هذا الوضع أدرك فلول نظام مبارك أنهم لا قبل لهم بالمواجهة حاليا، ورفضوا اقتراحا من أحدهم بإقامة دعوى لحل البرلمان مؤكدين له أن الشعب قد يأكل من يفعل ذلك.

-٥-

بعد ثلاث سنوات من أحداث محمد محمود وقرابة أربع سنوات من اشتعال الثورة قدمت مصر تجربة انتقال ديمقراطي يحتذي بها، عاد الهدوء إلى الشارع فعادت السياحة، وعادت الثقة في وجود نظام حكم رشيد فانهالت الاستثمارات الأجنبية، ونشأت سلطة مدينة للشعب فوضعت الخطط لتوصيل الخدمات إلى المناطق المحرومة، وأعادت تشغيل المصانع العائدة إلى الحكومة بحكم القضاء، وسهرت على توفير احتياجات المواطنين، وخططت لإعادة إعمار سيناء.

اطمأن يا معوض فقد نجحت الثورة بتضحياتك وبعيون زملائك وبأرواح رفاقك.

احمد ربك يا معوض. فلن نكون مثل سوريا والعراق.

## كَذِب إبراهيم عيسى

كثير من الحقائق تاهت في مصر منذ قيام الثورة لكننا الآن أمام حقيقة مؤكدة: لقد كذب إبراهيم عيسى.

في شهادته أمام محكمة مبارك أثناء نظر القضية في المرة الأولى قال الكاتب الصحفي إنه رأي بعينيه الشرطة تستخدم الرصاص الحي ضد المتظاهرين أثناء اشتراكه في المسيرة التي انطلقت من ميدان الجيزة إلى طريقها إلى ميدان التحرير والتي كان بجانبه فيها الدكتور محمد البرادعي والدكتور أسامة الغزالي حرب.

تحدث عيسى كثيرا عن العنف المفرط الذي استخدمته الشرطة ضد المتظاهرين السلميين، وعن القتلى الذي رآهم بعينيه بعد إصابته بطلقات نارية خرجت من بنادق قوات الشرطة التي احتشدت بالمئات لمنع المتظاهرين من بلوغ الميدان وأطلقت النار بشكل عشوائي عليهم، وعن تحميله نظام مبارك مسؤولية ما حدث.

في يناير ٢٠١٤ أدلى عيسى في إعادة المحاكمة بشهادة مغايرة تمامًا، وبمجرد نشر الشهادة في بعض وسائل الإعلام وعلى صفحات التواصل الاجتماعي حاول هو أن ينفها ويتلاعب بألفاظها ويستخدم قدراته اللغوية في تبرير وتمرير وتزويق ما قاله، حتى انكشف المستور على الهواء في محاكمة مبارك الثانية عندما قرأ محامي مدير الأمن العام الأسبق عدلي فايد، شهادة إبراهيم عيسى ليبرز التناقض بينها وبين شهادته في المحاكمة الأولى ويستخدم هذا التناقض في ضرب كل ما قاله شهود الإثبات.

قال عيسى في شهادته إنه لم ير الشرطة تطلق النار على المتظاهرين وأنه

رأى فقط استخدامها المياه وقنابل الغاز المسيل للدموع، قال إنه رأى فقط متظاهرين يقتحمون مبنى الحزب الوطني ويسرقون منه الأجهزة والمقاعد، قال إن المتظاهرين هم من هاجموا سيارات الشرطة حتى أن سائق إحداها اضطر للهروب مذعورا داخل الجزيرة الوسطى بميدان التحرير، قال إنه لم ير مصابين بطلقات نارية وأنه رأى فقط شباب محمولين على أكتاف رفاقهم وبأجسادهم «احمرار»، قل إنه رأى البعض يعتلون سطح الجامعة الأمريكية ويطلقون النار على المتظاهرين لكنه لم يستطع تحديد إذا كانوا من أفراد الشرطة أم لا، قال إنه لا يعتقد أن مبارك أصدر أوامر بقتل المتظاهرين، قال إنه ربما يكون من قتل المتظاهرين جهات خارجية تريد نشر الفوضى في مصر.

هل كذبت في الأولى أم في الثانية يا إبراهيم؟

هل كذبت حين قلت إن الشرطة قتلت المتظاهرين أم كذبت حين برأتها؟

هل كذبت حين أقنعتنا بأن العسكر كذابين، أم تكذب الآن وأنت تحاول إقناعنا بصدقهم؟

هل كذبت حين كنت تتحدث عن أهمية الدفاع حق الإخوان، أم كذبت حين اعتبرت حقهم حتى في الحياة رفاهية لا يتحملها وطن مأزوم؟

هل مثلت دور الثوري بحرفية تمثيلك دور رئيس التحرير النزيه في «خيانة مشروعة»، أم أننا نحن من مثلنا دور البُلهاء باحتراف حتى صدقناك؟

***

ليس من سمع كمن رأى.

صدمتك في شخص لا تعرفه، لا تقارن بصدمتك في شخص اقتربت منه وآمنت

بصدقه وتبنيت حلمه، عن نفسي كنت أعرف أن لإبراهيم عيسى أكثر من وجه، لكن وجهه الذي أراه به الآن يفوق قدرتي على التوقع والتحمل.

قسوته وهو يتحدث عن شباب الثورة تُنسيك أنهم تعلموا الثورة من مقالاته، موقفه السابق من رجال الأعمال تجعلك تستغرب وأنت تراه ينقل صحفه وقنواته من حضن رجل أعمال إلى آخر، موقفه المساند للمشير السيسي يدفعك لقراءة كتاباته السابقة ضد حكم العسكر والدولة العسكرية.

من حقك أن تتخذ الموقف الذي تريد، ومن حقنا أن نراك كما نريد

نراك الآن مثيرا للشفقة وأنت تترك مقعدًا كان يمكن أن تشغله في توجيه الثورة وقيادتها، إلى مقعد وضعك له النظام في مؤخرة صفوفه تسند له بوقا، أو تحمل له مبخرة.

نراك خائنا لثورة دعوت إليها ثم تركتها مع أول تعثر، إما لأنك لم تستطع دفع ضريبة الثبات على الموقف، أو لأن الثورة كانت بالنسبة لك من البداية وسيلة استخدمها جهاز ما لإفساد سيناريو ما.

نراك الآن لآخر مرة لأننا بعدها لن نراك أصلا، ومن يسألنا عنك سنقول له ما قاله خال هنادي، إبراهيم أخذه الوبا.

## ثورة الـ٥٠ ألفًا

-١-

لـو لم تفعـل ثـورة ينايـر سـوى أنهـا كشـفت لنـا أن الحـق لا يمثلـه أشـخاص، لكفـى بهـا نعمـة، فمنـذ قيـام الثـورة تطـوع العـشرات ممـن كنـا نظنهـم رمـوزا في الفكـر والمبـادئ والسياسـة والأخـلاق بأقـوال وأفعالهـم تهبـط بهـم مـن الأماكـن التـي جهزناهـا لهـم في القمـة إلى مرتبـة دنيـا في القـاع.

ربمـا هـي الثـورة تصحـح أخطاءهـا وتتطهـر ممـن انتسـبوا إليهـا مـن غـير المؤمنـين بمبادئهـا، أو غـير المؤهلـين لتـولي قيادتهـا، أو غـير المسـتعدين لدفـع ضرائبهـا، فكـما بـدأت الثـورة غريبـة سـتعود كـما بـدأت، وبعـد أن تتخلـص مـن الأفاقـين والمنافقـين والمنتسـبين والضعفـاء سـيقتصر المشـهد عـلى الـ٥٠ ألفـا الذيـن دخلـوا الميـدان يـوم ٢٥ ينايـر، وهـؤلاء قـادرون فعـلا عـلى إكـمال المسـيرة بعـد أن يتعلمـوا مـن بعـض أخطائهـم.

كنـا سـاذجين بمـا فيـه الكفايـة لنطالـب بإنهـاء حكـم الفـرد ثـم نظـن أن الخـلاص في أفـراد نحسـبهم عـلى خـير، والواقـع أن الخـلاص الفعـلي بإقامـة دولـة قائمـة عـلى مبـادئ للحـق والعـدل والمحاسـبة تجـبر الحـكام أيـا كانـوا عـلى الالتـزام بهـا، لأن تجربـة الثلاثـة أعـوام السـابقة يمكـن تلخيصهـا في كلمتـين اثنتـين: «كلـه شـمال»!.

-٢-

لـو سـألت أي متطلـع إلى التغيـير في ٢٠١٠ عـن البدائـل الممكنـة لنظـام مبـارك كنـت ستسـتمع أسـماء كثـيرة، لكـن القائمـة لم تكـن لتخلـو مـن أسـماء مثـل حسـام عيـسى وكـمال أبـو عيطـة ومحمـد غنيـم ومحمـد أبـو الغـار وعبـد الجليـل مصطفـى وجـودة عبـد الخالـق وحـازم الببـلاوي.

بعد الثورة حصل هؤلاء على حرية الحركة وبعضهم تولى مناصب حكومية وبدا منهم ما لم نكن جميعا نحتسب، جاء من دافع عن استقلال الجامعات لعقود ليبرر اقتحام الأمن لها، وجاء من ندد بقمع الداخلية ليدافع عنها وعن رصاصها الذي يلسع ولا يقتل، وجاء من أفنى عمره في الهتاف لتحرير العمال من سيطرة رأس المال ليتهم من يستخدم هتافاته نفسها بالمزايدة، وجاء من طالب بالدولة المدنية لينضم إلى جوقة المروجين لمرشح عسكري.

طالبنا البرادعي بالثبات لتحقيق حلم التغيير وسافر هو بعد أول تعثر، حدثنا حمدين صباحي وعبد المنعم أبو الفتوح كثيرًا عن الزهد في السلطة وعدم الرغبة فيها، ورفض كلاهما الانسحاب للآخر في انتخابات الرئاسة لنجد أنفسنا في النهاية بين مرسي وشفيق، تفاءلنا بضياء رشوان عندما واجه مكرم محمد أحمد حتى لا تكون الصحافة ملكا للدولة، وبعد أن ورث مقعده سلم الصحف والصحفيين إلى السلطة في لفة هدايا.

شاءت إرادة الله ألا نراهن على أحد وينصفنا، حتى لا نراهن مجددًا إلا على أنفسنا.

-٣-

ما سبق ليس دعوة لليأس لكنه دعوة للتعلم والمواصلة.

رفعت الثورة شعار «عيش حرية عدالة اجتماعية كرامة إنسانية» ولم تكن منشغلة وقتها بهوية من يوفر العيش والحرية والعدالة، طالبت بإقامة نظام ديمقراطي بانتخابات تعددية ولم تكن مهتمة بهوية التيار الذي تأتي به هذه الانتخابات، كانت هناك قناعة بأننا سنتعلم بالتجربة والخطأ، نأتي برئيس لا ينفذ وعوده فنغيره، بحزب أقل من طموحنا فنستبدله.

نقطة التحول في هذه الثورة عندنا انشغلنا بالأسماء عن الأهداف، وعندما ارتضينا الطرف الذي يحمل السلاح ليحكم بيننا، كنا طيبين لحد البلاهة عندما تصورنا أن هذا الطرف سيتدخل ليفصل بيننا ويزيح من نكرهه دون أن يقبض الثمن.

حان وقت وضع النقطة والبداية من أول السطر، نريد أهدافا لا أشخاص، نريد حكما مدنيا لا عسكريا، نريد دولة مؤسسات لا دولة مؤسسة.

لا تجعل أحدا يبتزك بسؤال: «من هو بديل السيسي؟»، لا ترهق نفسا بطرح أسماء أشخاص لأنهم في الغالب سيخذلونك قريبا؟. قل له إن بديل السيسي ليس شخصا لكنه دولة تديرها المؤسسات ولا تملكها، يحكمها القانون ولا ينام في فراش حاكمها.

## لا تسقطوا في الفخ

-١-

«سيتم إعداد قوائم بأسماء بعض النشطاء والصحفيين والمدونين المحتجزين، والصادر بحقهم أحكام، للإفراج عنهم في احتفالات الشرطة بعيدها في ٢٥ يناير».

لا يمثل يوم ٢٥ يناير شيئا للرئيس عبد الفتاح السيسي سوى كونه عيدًا للشرطة، لكنه يؤكد دومًا تقديره للثورة، لذلك قرر أن يفرج عن بعض شباب الثورة احتفالًا بالشرطة التي ألقت القبض عليهم عشوائيًا، ووجهت الاتهامات إليهم بمحاضر تحريات ملفقة، وشهد ضباطها وأفرادها ضدهم زورًا، وذلك دون أن يمسها بإصلاح أو يطالبها بعدل.

حد فاهم حاجة؟

-٢-

في اليوم الذي أعلنت فيه أسرة علاء عبد الفتاح نقله إلى المستشفى بعد إصابته بمضاعفات داخل السجن على خلفية إضرابه الطويل عن الطعام، نشرت أسرة محمد سلطان صورًا له على حافة الموت بعد مرور عام كامل على بدء إضرابه عن الطعام.

رفع الشباب في ٢٥ يناير ٢٠١١ شعار «عيش» إلى جانب حرية وعدالة اجتماعية باعتبار الخبز رمزًا للحياة الكريمة، ولم يكونوا يعلمون أنه بعد أربع سنوات من هذا التاريخ سيكون الخبز نفسه ممنوعًا على العشرات ممن أضربوا عن الطعام احتجاجًا على سجنهم ظلمًا.

-٣-

قبل أيام أصدرت دائرة الإرهاب بمحكمة جنايات المنصورة دائرة الإرهاب، حكمًا بالسجن المؤبد ضد عمر عبد المقصود، المصور الصحفي بموقع مصر العربية، وشقيقيه، إبراهيم «بطل السباحة»، وأنس، ١٦ عامًا، وزميله عبد المنعم، ١٧ عامًا.

«فصلت عن أخي وتم تقييد يدي بقيد حديدي بشكل خلفي وتعصيب عيني بقطعة قماش سوداء لمدة ٣ أيام متواصلة من التحقيق مع التقييد بحلقة مثبتة في أرضية غرفة داخل قسم الشرطة، في مكان مخفي عن الأنظار تماما، يودع فيها المتهم لعدة أيام مكبلا ومغمى لأغراض التعذيب والتحقيق».

هذا ما قاله عمر عبد المقصود في رسالة بعث بها من داخل محبسه، وفي الخلفية يظهر صوت الرئيس السيسي حالفًا بالله أنه أحرص الناس على حقوق الإنسان.

٤٠ صحفيًا في سجون النظام بحسب المرصد العربي لحرية الإعلام والتعبير، أشهرهم هاني صلاح الدين الذي خسر بفارق طفيف في انتخابات مجلس نقابة الصحفيين عام ٢٠١٣، بالإضافة إلى إبراهيم الدراوي وصحفيي الجزيرة، صدر التقرير قبل ٧ شهور من الآن، وخلالها لحق بالقائمة صحفيون آخرون أبرزهم مصور مصر العربية.

لا يطالب الصحفيون ولا نقابتهم بالإفراج عن زملائهم المحبوسين، حجتهم في ذلك أنهم محبوسون في جرائم جنائية وليست قضايا نشر، لكن الأمر بالتأكيد يتعلق بكون الصحفيين المحبوسين خصوم سياسيين لهم ومن ثم تصبح دماؤهم وأعراضهم وأموالهم حلالًا، ويصبح الدفاع عنهم جريمة تستحق التفتيش في النوايا والتنقيب في الذمم والانتماءات.

هـاني صـلاح الديـن، خصمـي السـياسي اللـدود، مهـدد بفقـدان بـصره ويحتـاج إلى إجـراء جراحـة في عينيـه، إمـا أن تدافعـوا عـن حقـه في العـلاج والحيـاة، وإمـا أن تكفـوا عـن النـواح واتهـام الإخـوان بالتخطيـط لسـجنكم عندمـا كانـوا في السـلطة، هـم خططـوا فقـط أمـا أنتـم فنفذتـم!

-٤-

«نقـص الخدمـات الطبيـة المقدمـة للأطفـال جـزء مهـم مـن الانتهـاكات التـى تحـدث لهـم، وسـوء أوضـاع أماكـن الاحتجـاز يـؤدى إلى انتشـار الأمـراض المعديـة، ويصيـب الأطفـال بآثـار نفسـية سـيئة مثـل الهيـاج والكوابيـس والقلـق».

هـذا مـا قالـه عمـرو الشـورى، عضـو النقابـة العامـة للأطبـاء، في المؤتمـر الـذي أقامتـه حملـة «الحريـة للأطفـال»، والـذي كشـفت فيـه عـن وجـود ٤٧٨ طفـلا محتجـزًا عـلى ذمـة قضايـا سياسـية تـتراوح أعمارهـم بـين ١٢ و١٨ عامًـا.

الدولـة التـي يهـدد أمنهـا القومـي أطفـال دون الثامنـة عـشرة دولـة هشـة ضعيفـة جبانـة، ومـن يسـجن طفـلًا بتهمـة الإرهـاب والتحريـض عـلى العنـف، لا ينتظـر منـه أن يخـرج بعـد عـدة سـنوات ليتعلـم العـزف عـلى الجيتـار!

ألقـى السـيسي خطابـه في عيـد الشرطـة وإلى جانبـه عـدد مـن أطفـال شـهداء الشرطـة الذيـن سـقطوا في حـرب الدولـة مـع الإخـوان، وفي نفـس اللحظـة كان أطفـال مـن نفـس السـن يقبعـون في السـجون بعدمـا فقـد بعضهـم ذويهـم في الحـرب نفسـها، لذلـك عليـك أن تصدقـه وهـو يؤكـد دومـا أنـه رئيـس لـكل المصريـين.

-٥-

لن نقع في هذا الفخ.

لـن نتملـق العفـو عـن بعـض المحبوسـين ونشـكر عليـه، لـن نُسـقط نظامًـا لا يحترم الحـق في الحريـة لـنرضى بنظـام لا يعـترف بالحـق في الحيـاة، لـن نسـمع لمـن يريـدون أن يقنعونـا بـأن مرحلـة الثـورة انتهـت وأننـا في مرحلـة انتظـار عطايـا السـلطة.

الثـورة مسـتمرة لأنهـا يجـب أن تسـتمر، والباطـل لـن يصبـح حقًـا بكـثرة المصفقين، والعفـو الرئـاسي لا يصنـع حريـة، فمنـذ خـرج بـه إبراهيـم عيـسى قبـل ٧ سـنوات لم يعـد إلى الآن!

سـنفرح بمـن يخـرج ونفـرح معـه، ثـم نضـم صوتـه إلى صوتنـا ونطالـب بالإفـراج عـن بقيـة المحبوسـين، ثـم نطالـب جميعـا بالإفـراج عـن مـصر، ومـا الثـورة إلا نضـال مـن وراء نضـال حتـى لا يكـون للظالمـين والمنافقـين علينـا سـبيلًا.

## نحب الجيش ونكره حكمه

-١-

جريمة سيارة الترحيلات التي ستبقى إلى الأبد وصمة عار على جبين الحكم العسكري اسمها عندهم «القضية بتاعة الكام وتلاتين».

أشهر إعلامي عرفته مصر وعرفه الوطن العربي في السنوات الخمسين الأخيرة، اسمه عندهم «الولد ده».

«الإعلام المصري كله بيتحكم فيه ٢٥ واحد، نجيبهم بشكل منفرد ويبقى فيه نوع من الترغيب أو الترهيب للناس دي»، قالها أحد اللواءات في حضرة السيسي عندما كان الأخير وزيراً للدفاع.

لماذا تظهر كل هذه العنجهية في أحاديث قيادات الجيش؟ لماذا يعتبرون كل من هو خارج منظومتهم في مرتبة أدنى منهم؟ ولماذا يظهرون هذا الوجه في أحاديث الغرف المغلقة ويخرجون إلى العلن بوجه آخر وخطاب يحمل الكثير من عبارات التملق والنحنحة؟

-٢-

منذ توقيع اتفاقية كامب ديفيد دخل الجيش في حالة انكفاء على نفسه وتفرغ لإدارة المشروعات الخدمية والاستثمارية التي أصبحت تجلب دخلا كبيراً للجيش يتصرف فيه بعيداً عن أي رقابة، وبالتبعية زادت دخول القيادات العليا

فيه لدرجة جعلتهم ينظرون إلى الأمور بعين رجال الأعمال.

بعد ١١ فبراير ٢٠١١ أصبح الجيش هو صاحب السلطة الفعلية في البلاد، ولم يتغير الأمر كثيراً عندما تم انتخاب محمد مرسي أول رئيس مدني لمصر، حيث حافظ الرئيس المعزول على امتيازات الجيش وقياداته كما هي، في محاولة لمنعهم من الانقلاب عليه، وبعد ٣ يوليو قبض الجيش على السلطة كلها دون منازع، فبينما كان يحكم في الفترة الانتقالية الأولى بمضايقات من شباب الثورة والقوى السياسية، وبينما كان يحكم في عصر مرسي بمشاركة نسبية من الإخوان، أصبح يحكم وحده بتأييد شعبي مطلق ومصنوع بأيادٍ مخابراتية وأجهزة إعلامية.

أنْ تمْلك المال، فهذا يكفي لتغترّ، أن تملك السلطة، فهذا يكفي لتفسد، أن تملكهما معاً، فهذا يكفي لأن ترى نفسك سيداً للجميع، ولأن ترى الآخرين، مهما علا قدرهم ومقامهم، مجرد أقزام.

-٣-

كلما زاد احتقار العسكر للمواطنين كانت النكسة وشيكة.

حدث ذلك أيام عبد الناصر عندما تفرغ الجنرالات لشهواتهم وبيزنسهم الخاص، ونشروا ممثليهم في كل المؤسسات الحيوية حتى في الأزهر والإعلام، وظنوا أنهم قد ملكوا الأرض ومن عليها، وأنهم مانعتهم حصونهم وأذرعهم وعيونهم، فجاءتهم الهزيمة الساحقة من حيث لا يحتسبون.

الآن تطور طموح العسكر، فهم لا يريدون فقط السيطرة على مفاصل الدولة، بل يرغبون في إقامة دولة موازية تبقى بمنأى عن رقابة أو مساس بامتيازاتها، ولكي يتحقق لهم ذلك نشروا ممثليهم في المواقع الحساسة في الدولة الشقيقة،

بـدلا مـن المدنيـين الذيـن لا يقتنعـون أصـلا بـأن طريقتهـم في الإدارة تناسـب طبيعـة المرحلـة.

القـصر الرئـاسي لا تعـرف فيـه إلا مجموعـة مـن اللـواءات السـابقين، وعـدد مـن رمـوز نظـام مبـارك، وقـادة الثـورة المضـادة، والطـرق السريعـة يقـف عـلى بواباتهـا مـن يحصّلـون الرسـوم لصالـح جهـاز الخدمـة المدنيـة بالقـوات المسـلحة، وكان إنجازهـم الأول رفـع التعريفـة نحـو خمسـة أضعـاف، فدولـة الجيـش تحتـاج إلى مـوارد.

هـذا الوضـع لا يبـشر بخـير، ليـس مـن مصلحـة أحـد انشـغال الجيـش عـن دوره الأسـاسي في حمايـة حـدود مـصر وتأمـين أهلهـا، بـأدوار أخـرى فرعيـة وفئويـة تتعلـق برفـع معـاش الضبـاط المتعاقديـن أسـبوعيًا، والاسـتحواذ عـلى أسـهم الـشركات التجاريـة، ومنافسـة شركات المقـاولات.

-٤-

هل نكره جيشنا؟

هـذا جنـون، مـا الـذي يدفعنـا لكراهيـة المؤسسـة التـي تصبـح حياتنـا ذاتهـا مهـددة إذا ضعفـت أو انهزمـت؟

ما الذي يجعلنا نتمنى سقوط الجيش إذا كان بناؤه سيُعاد من جيوبنا؟

مـا الـذي يجبرنـا عـلى قـول كلام قـد يتخذنـا قياداتـه مـن بعـده أعـداء إلا كوننـا صادقـين في الخـوف عليـه وراغبـين في إبعـاده عـن كل مواطـن الشـبهات؟

الطريقـة التـي يتحـدث بهـا المنتسـبون إلى الجيـش عـن المدنيـين لا تُرضينـا، طموحهـم الواضـح في الحكـم والسـيطرة يزعجنـا، رفضهـم الدائـم لأي رقابـة ماليـة

عـلى مؤسسـاته الربحيـة يقلقنـا، لكـن يبقـى وقوفنـا خلفـه في أي حـرب يخوضهـا أو أي تحـدٍ يواجهـه فـرض عـين علينـا، ويبقـى الأب والأخ والصديـق والجـار الـذي يرتـدي سـترته رابطًـا أبديًـا بيننـا وبينـه.

لكـن هـل يتعامـل معنـا قيـادات الجيـش بالاحـترام ذاتـه؟ هـل يمنعـون نفسـهم عـن كراهيـة أي منتقـد لسياسـاتهم أو متخـوف مـن طموحهـم؟ هـل يفرّقـون بـين الاختـلاف مـن أجـل الوطـن والخـلاف عليـه؟ هـل يفترضـون مـرة أنهـم أخطـأوا الحسـابات أو راهنـوا عـلى جـواد خـاسر؟

إذا كانـت الإجابـة عـلى كل مـا سـبق «لا»، فهـم في حاجـة فعليـة لوقفـة يتذكـرون فيهـا دورهـم الحقيقـي، وينـأون بأنفسـهم عـن الدخـول في خصومـة مـع أي فصيـل في الشـعب، ويعيـدون توجيـه مدافـع انتقامهـم إلى الـشرق لا إلى الداخـل.

## لماذا تأخرت العودة إلى الميدان

-١-

«واهم من يدعو لإسقاط النظام حاليا، فليس لديك بديل ثوري، كما أن هوجة الإسقاطات دون البناء كارثة على البلد، نحن نعارض فقط سياسات موجودة».

قالت حركة ٦ أبريل هذه الكلمات وهي تدعو للتظاهر ضد براءة مبارك لتنهي حالة من الجدل المكتوم وتجيب على سؤال لم يجرؤ أحد بين الفصائل الثورية أن يطرحه خوفا من المزايدة عليه واستغلال الطرح في نزع صفة الثورية عنه، وهو: هل نريد إسقاط عبد الفتاح السيسي؟

ظني أن عدم حسم الإجابة على هذا السؤال وعدم الاستقرار على طبيعة اللافتات التي سيرفعها المشاركون في الاحتجاجات هو السبب في تأخر نزول القوى الثورية إلى الشارع، الأمر لا يتعلق بخوف من شرطة أو قمع أو قانون تظاهر، فعندما نزل هؤلاء في ٢٥ يناير كانت هناك قوانين تمنع التجمهر وداخلية لا تسمح بمظاهرة محدودة أمام نقابة الصحفيين وفوق ذلك كله قانون طوارئ يسمح لأجهزة الأمن بأن تفعل أي شيء في أي وقت ومع أي أحد.

هذه المرة الأمر يتعلق بغموض في الأهداف أكثر من أي شيء، الكل يعرف أن هناك مظالم لكن كثيرين لا يعرفون إن كانوا سيرفعون لافتات تطالب السيسي بإسقاطها أم لافتات تطالب بإسقاط السيسي نفسه.

-٢-

«الشعب يريد إسقاط النظام»

عندما ظهر هذا الهتاف في ميدان التحرير لأول مرة عصر ٢٥ يناير ٢٠١١ ردده الناس دون تفكير، نعم كانت هناك رغبة جامحة في إسقاط مبارك ونظامه، لكن هذا وحده لم يكن الدافع وراء ترديد الهتاف بهذه السرعة والأريحية، كان الفساد وصل إلى مداه والمظالم حاضرة في كل بيت، كانت هناك ثقة في وجود جيش لا يتحمس لفكرة التوريث وإن لم يدعم الثورة فعلى الأقل لن يقمعها، كانت هناك قائمة من الرموز يحفظها كل من في الميدان قادرة على ملء الفراغ وتستحق فرصة لإدارة الدولة، فضلا عن حالة الميدان نفسه حيث يقف الإخواني بجانب العلماني والسلفي بجوار الناصري ويصب المسيحي ماء الوضوء للمسلم، وكلها أشياء تدعو للطمأنينة من وضع البلاد بعد سقوط مبارك.

نفس الأمر تكرر عند نزول المصريين ضد مرسي والإخوان في ٣٠ يونيو، كانت الصورة واضحة تماما والهتافات تزلزل الميدان بسقوط النظام لأنه كان هناك إجماع من كل القوى السياسية والثورية وحتى أجهزة الدولة على خطورة حكم الجماعة، فضلا عن وجود بدائل كثيرة وحقيقية تحمي مصر من الانزلاق للعنف بعد عزل مرسي، صحيح أن هذا لم يحدث لكنه كان التصور السائد يومها.

جرت في النهر مياه كثيرة، واليوم يتردد الكثيرون قبل أن يهتفوا «يسقط يسقط حكم السيسي» لتصبح الهتافات السائدة في أي فعالية ثورية ضد حكم العسكر وللمطالبة بالإفراج عن المعتقلين وضد تكميم الأفواه وللحث على استكمال الثورة وصولا إلى العيش والحرية والعدالة والكرامة، وهو تردد مدفوع بغموض الرؤية لمرحلة ما بعد السيسي رغم استمرار الفساد والمظالم،

فلا الجيش يبدو سيقبل بإسقاطه، ولا رموز يمكن أن يقدمهم الشباب كبديل بعدما رسبت القائمة كلها في الاختبارات المتتالية، ولا حالة التوحد التي كان عليها الميدان في أيام الثورة الأولى باقية، ولا بديل السيسي يبدو أقل دموية وسوادًا.

-٣-

الذي يمنع شباب الثورة من نزول الميدان ليست المدرعات التي تغلق مداخله ولا العسس المنتشرون في كل أركانه، سيدخل الشباب الميدان حين يقرروا هم أن يدخلوه، لكن الأمر يتطلب أولا حسم قضية الهتاف والمطلب الذي يجتمعون عليه.

أعرف أن هناك اقتناعًا سائدا بين الغالبية الساحقة من المحسوبين على ٢٥ يناير بأن إسقاط السيسي ليس الهدف الذي يمكن أن ينزلوا لأجله الآن، ربما يكون هدفا مؤجلا ويظهر في وقت لاحق بتغير الظروف أو يختفي نهائيًا إذا زالت الأسباب المؤدية إليه، لكن الجميع يخشى أن يصرّح بما يعتقد خوفا من أن يبدو أقل ثورية من الآخرين.

أخذت ٦ أبريل زمام المبادرة وأعلنت موقفها بوضوح، هي لن تنزل لإسقاط النظام ولا الرئيس لكن لعرض مطالبها والضغط لتنفيذها، والخطوة القادمة يجب أن تكون التنسيق وعقد جلسات واجتماعات بين القوى السياسية والثورية المختلفة للوصول إلى مطالب واضحة يمكن النزول بها ويمكن أن يلتف حولها الناس لا أن يلفوا حبل المشنقة حول من يرفعها.

في المقابل يجب أن يقتنع الرئيس بأنه لن يهزم شباب الثورة لا بقبضته الأمنية ولا بحديثه غير المقنع عن انحيازه لهم ولثورتهم. من يتحدث عن إصدار قانون يجرم إهانة ثورة ٢٥ يناير، لا يجب أن يهينها كل يوم بحبس

شـبابها ودهـس مطالبهـا ومبادئهـا بحـذاء حكومتـه وداخليتـه، ومـن يخـاف علينـا مـن مصـير سـوريا والعـراق لا يجـب أن يكـون مثلـه الأعـلى في الحكـم بشـار وصـدام.

## هي فتنة فلا تكفر

علم أحمر صغير يعلوه علم ضخم لمصر مثبتان في عصا طويلة.

لم يبرح العلم مكانه، ولم يتغير صاحبه طوال أحداث محمد محمود الأولى، زاد العدد أحيانا وقل في أحيان أخرى، تصاعدت الاشتباكات في ساعات وهدأت في ساعات تالية، ارتفع عدد الشهداء في أيام وانخفض في أيام ثانية، تطايرت عشرات العيون ونجت المئات من زخات الخرطوش الكثيفة، حرر الثوار عشرات الأمتار ثم عاد الأمن ليحتلها طال الوقت دون بوادر أمل في تحقيق المطالب، تدافعت الاتهامات بالعمالة والخيانة من كل حدب وصوب، وظل العلم وصاحبه في مكانهما من الساعة الأولى وحتى الساعة الأخيرة.

في الأيام الأولى حاولت الوصول إلى مكان العلم حيث خطوط المواجهة الأولى لكني كنت أفشل كل مرة، أتجاوز الكتل البشرية المحتشدة في الشارع حتى أصبح على بعد عدة أمتار منه ثم تهبط قنبلة مسيلة للدموع وسط الصفوف أو تدوي أصوات بنادق الخرطوش فتدب الفوضى وأضطر إلى التراجع.

بعد عدة أيام غلبت خوفي وتقدمت حتى وقفت إلى جانب حامل العلم، دققت في ملامح وجهه الذي شحب من فرط الجهد الذي بذله في الكر والفر واتسخ تحت وطأة الاشتباكات العنيفة والغبار المتصاعد، لم يكن وجها إعلاميا معروفا من تلك الوجوه التي تظهر يوميا في البرامج الحوارية تتحدث عن شروط الثوار لمغادرة الشارع وقبول الهدنة، ولا يبدو أن ملامحه البسيطة ستغري صحفيا بإجراء حوار معه، ولا يبدو أنه أصلا مهتم بذلك.

بعد قليل هدأت القنابل وتوقفت البنادق فدار بيننا حديث لا أتذكر

معظمه حول ما ستؤول إليه الأوضاع وما ستنتهي إليه المفاوضات مع المجلس العسكري حول مطلب تحديد موعد الانتخابات الرئاسية والإفراج عن المحاكمين عسكريا، لم يكن لديه تصور عما سيحدث وتحدث فقط عما هو حادث، قال ببساطة إنه هنا لأن هناك اشتباكات وشهداء وجرحى وما دام الوضع كذلك سيبقى هنا، قلت له إن العلم المرفوع يجعله هدفا سهلا للقناصة المتواجدين في محيط وزارة الداخلية، ابتسم بعدم اهتمام وقبل أن يجيب عادت القنابل والبنادق لتدوي فتفرقنا كل إلى حاله.

صمد علم الثورة لأيام في معركة حربية غير متكافئة، لكنه اختفى عندما طلت السياسة بوجهها القبيح ونجحوا في تحويل الثورة من حرب شريفة على المطالب إلى تنافس محموم على المقاعد، راهنوا على السياسة لتحقق أهداف الثورة فعصفوا بأهداف الثورة والسياسة معًا.

على مدى ١٠ أيام كنت أراقب العلم لأعرف مكان الاشتباك بين المتظاهرين وقوات الأمن، والآن أتساءل عن مصيره لأعرف إن كانت لنا جولات ثانية.

***

٣ سنوات مرت تغير خلالها كثير من المعطيات وبات الواقع أكثر سوءًا، والآن يدعو إلى إحياء ذكرى شهداء محمد محمود من خانهم وخوّنهم، ما زالت أسئلة كثيرة لا تجد إجابات لكن سؤالا واحدا يشغلني الآن: أين ذهب صاحب العلم؟ وماذا فعل بعلمه؟.

ربما كره السياسة التي ضيعت الثورة ثم كره الثورة التي مات فيها من كان يجب أن يعيش، ثم انكفأ على ذاته واهتم بعمله وارتبط بفتاة أحبها ويحتفل

الآن بأسبوع طفله الأول، ربما أخفى العلم في بيت والدته حتى لا يعرف ابنه حكايته ويؤمن بثورته ويخرج مطالبا بحقوقه يوما فيعود إليه جثة هامدة.

ربما أصيب بعاهة مستديمة في معركة تالية ويعيش على راتب محدود خصصه له المجلس القومي لرعاية أسر شهداء ومصابي الثورة وافتتح بالمكافأة التي حصل عليها محلا لألعاب الفيديو، وربما يضع العلم في مدخل المحل ويتعامل مع الزبائن كأي علم يباع في الإشارات أوقات المباريات المهمة.

ربما انضم إلى حزب سياسي بعدما أقنعوه بأن الثورة مرحلة وانتهت والتغيير الآن يجب أن يتم من خلال القنوات الشرعية ثم استقال من الحزب بعد خلاف مع القيادات وآمن بأن هذا البلد لا أمل فيه لا بالثورة ولا بالسياسة، وربما يحتفظ بالعلم على أحد جدران غرفته ويُنزله من وقت إلى آخر لينظف التراب الذي اعتلاه.

ربما وجد عملا مناسبا في دولة خليجية ما ويتابع أخبار مصر من على مواقع الانترنت مثبتا لنفسه أنه اتخذ القرار الصحيح وربما فقد العلم بعدما باعته أمه بالخطأ مع الملابس القديمة إلى بائع الروبابيكيا.

ربما استشهد في أحداث مجلس الوزراء أو في أحداث العباسية أو في اشتباك مع الإخوان وربما تحتفظ أمه بالعلم المخلوط بدمائه في دولاب ملابسه وتُخرجه من مخبأه كل ليلة فتقبّله وتدعو على من قتله ثم تنام.

ربما يعرف أنها فتنة ولذلك لم يكفر بالثورة، ويؤمن بأن ٢٥ يناير ستُبعث حية بعدما يدرك عدد أكبر ممن كانوا معه في محمد محمود أنها السبيل الوحيد للخلاص من الفقر والظلم والفساد والإرهاب معا، وربما يحتفظ بالعلم حتى يقف به مجددا في الخطوط الأمامية.

ربما يكون أي خيار مما سبق قد حدث فعلا وربما حدث شيء آخر مختلف، لكن الأكيد أنه كانت هناك ثورة وكان هناك بطل وكان هناك علم، وإذا لم

يُكتب للعلم الخروج مرة أخرى أو لصاحبه الحياة في وطن يستحقه، فيكفي أن نتذكر في مثل هذا الوقت من كل عام أن قلة العدد لم تكن أبدا مبررا للهزيمة، وأن الرصاص لا ينجح دوما في اصطياد الأمل.

# الفصل الثاني
# .. سلطة ..

## قبل أن تنصبوا المشانق

«جئت معك حتى شفا حفرة نار جهنم، لكن لا أرغب في دخولها معك»

كانت هذه هي الجملة الأخيرة التي قالها آية الله حسين علي منتظري، قائمقام المرشد الأعلى للثورة الإيرانية، لرفيقه المرشد آية الله الخميني في صيف ١٩٨٨، قبل أن يتقدم الأول باستقالته احتجاجًا على إصدار الأخير فتوى قال فيها إن «الذي يصر على الفتنة يجوز إعدامه».

ترتب على فتوى «الخميني» إعدام ٥ آلاف سجين سياسي أغلبهم من منظمة مجاهدي خلق السنية المعارضة، فضلا عن بعض أبناء القوميات غير الفارسية والناشطين اليساريين خلال ٣ أيام ودفنهم في مقابر جماعية، وترتب على استقالة «منتظري» وضعه قيد الإقامة الجبرية إلى أن مات بعدها بسنوات.

سعد مؤيدو السلطة بهذا القرار واعتبروه خطوة مهمة للحفاظ على وحدة الدولة ونقاء العقيدة، لكن مجاهدي خلق لم يختفوا من الوجود، بل اكتسبوا إيمانا أعمق بضرورة استمرار التصعيد ضد النظام لأن الإعدام هو البديل الذي ينتظرهم، واكتسبوا تعاطفا دوليا مع قضيتهم انتهى برفع الدول العظمى اسم الحركة من قائمة المنظمات الإرهابية.

نسي الجميع أن المنظمة متهمة فعلًا بتفجير مبنى البرلمان الإيراني ومحاولة اغتيال الخميني واستهداف الأجانب، وتسابقت الدول في تقديم الدعم لها واستضافة وإيواء أعضائها، وتحولت في نظر الكثيرين من منظمة إرهابية أو غير مُرحب بها إلى جماعة معارضة تلقى اضطهادا وحشيا من السلطة.

الدرس الأول: ربما يكون إعدام خصمك خطوة مهمة لإحيائه.

***

خلال نهب المكاتب الحكومية عقب انهيار نظام الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، تم اكتشاف مرسوم رئاسي يأمر بإعدام عشرات الرجال من قرية الدجيل، وتدمير وتجريف نحو ١٠٠٠ كيلو متر مربع من الأراضي الزراعية والبساتين المثمرة على الطريق إلى القرية.

بدأت فصول المأساة يوم ٨ يوليو ١٩٨٢، عندما تعرض موكب صدام حسين لإطلاق نار من قبل أعضاء في حزب الدعوة الإسلامية أثناء مروره ببلدة الدجيل، لكن وقع

تبادل لإطلاق النار بين أعضاء الحزب وحرس صدام أسفر عن فشل محاولة الاغتيال.

ألقي القبض على ٣٩٣ من الرجال فوق ١٩ عامًا، و٣٩٤ من النساء والأطفال من أهالي الدجيل، وتم اعتقالهم في سجن أبوغريب، وتعرضوا لتعذيب وحشي لم ينته حتى بإعدام نحو ١٣٨ قيل إنهم اعترفوا بالوقوف وراء محاولة الاغتيال أمام محكمة ثورية، بل تم نقل السجناء الباقين على مدى عدة أشهر لاحقة إلى مراكز اعتقال في الصحراء، ولقي نحو ٤٠ منهم حتفهم أثناء فترة الاحتجاز التي تجاوزت العامين، وبعدها تم نفي المعتقلين الباقين على قيد الحياة إلى منطقة نائية جنوب العراق.

يوم ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٦ استيقظ الملايين على خبر إعدام صدام حسين بعد ٣ سنوات من ضياع ملكه عقب الاحتلال الأمريكي للعراق.

الدرس الثاني: بعد أن تنتهي من إعدام خصومك تخلص من كل المشانق، فربما تنتهي حياتك على إحداها.

***

«بدفاعي عن نفسي ضد اليهودي إنما أناضل في سبيل الدفاع عن عمل الخالق» من كتاب كفاحي للزعيم النازي أدولف هتلر.

كان هتلر مقتنعا بأنه عندما يطارد اليهود، يحمي ألمانيا والعالم كله من شرورهم، ولم يكن يدري وقتها أنه بينما سيخسر هو الحرب ويموت منتحرًا، سيبني اليهود دولة تتمنى غالبية دول العالم رضاها بما فيها ألمانيا نفسها.

في البدء كانت حملة مقاطعة صغيرة لمحال اليهود في ألمانيا، تطورت إلى تعليق عشرات اللافتات على الجدران تحمل عبارتي «لا تشتروا من اليهود»، و«اليهود هم البلاء الذي ابتلينا به».

بعدها صدرت قرارات من قبل سلطات الرايخ الثالث في ٧ أبريل ١٩٣٣ بطرد اليهود من الدوائر والمؤسسات الحكومية، وفي اجتماع الحزب النازي عام ١٩٣٥ تم إصدار قوانين عنصرية تمنع اليهودي من الزواج من غير اليهودية والعكس، وتم سحب الجنسية الألمانية وحق التصويت في الانتخابات منهم، وفي ١٩٣٨ تم إصدار قانون يمنع التلاميذ اليهود من دخول المدارس العامة.

ثم جاء وقت «الحل النهائي» وهو المصطلح الذي استعمله لأول مرة أدولف أيخمان الذي يقال إنه أشرف على عمليات «الهولوكوست»، ليتم استبدال أسلوب تشجيع اليهود على الهجرة من ألمانيا إلى الاستبعاد القسري، ويتطور الأمر سريعا إلى إعدام «عشرات أو مئات أو آلاف» اليهود، فأرقام الضحايا عليها جدل كبير.

بالمناسبة.. أدولف أيخمان تمت محاكمته وإعدامه من قبل محكمة إسرائيلية في يونيو ١٩٦٢!

أيد الكثيرون حرق اليهود، وعارضه الكثيرون، وأنكره الكثيرون، لكن الأكيد

أن «الهولوكوست» أضر بهتلر أكثر ما أضر باليهود، ففي حين خسروا عشرات أو مئات أو آلاف الأشخاص، كسبوا ملايين أيدوا مطلبهم بإقامة وطن قومي يحميهم من الاضطهاد.

الدرس الثالث: قد تقتلك الكراهية وتُحيي من تكرهه.

***

في مارس ٢٠١٤ أصدرت الدائرة السابعة بمحكمة جنايات المنيا قرارها بإحالة أوراق ٥٢٩ متهما إلى مفتي الجمهورية، لاتهامهم بالمشاركة أحداث العنف التي وقعت عقب فض اعتصامي رابعة العدوية والنهضة بمركز مطاي، فيما عقدت الجلسة دون حضور المتهمين أو محاميهم، فضلا عن منع دخول الإعلاميين والصحفيين والأهالي قاعة المحاكمة.

الدرس الأخير: لم ينته اليهود ولن ينتهوا، لم ينته مجاهدو خلق ولن ينتهوا، لم ينته الأكراد ولن ينتهوا، لم ينته الإخوان ولن ينتهوا، لأن أرحام النساء أكثر من المشانق.

## طوابير الفقر.. هنا يجتمع الخصوم

توقف قطار مترو الأنفاق لبعض الوقت في محطة الشهداء. عشرات يقفون في انتظار إغلاق باب المترو ليدخلوا العربات بقوة الدفع. مراوح متعطلة تزيد الأجواء سخونة واختناقًا. باعة جائلون يمارسون عملهم المرهق الذي دفعتهم إليه البطالة وضيق ذات اليد. متسولون وأطفال شوارع يستعطفون الركاب لمنحهم أي شيء. وفي أقصى العربة يقف بعض الركاب حول شاب ملتح يتحدثون معه بحدة عن أن مرسي لن يعود وأن الإخوان لن يروا النور مجددًا، ويحدثهم بترفق عن أن الأمر ليس متوقفًا على الإخوان وأن تطبيق شرع الله ليس اختيارًا.

مشهد حقيقي يلخص الوضع في مصر التي ترك أهلها فقرا ينهشهم وجهلا يؤخرهم وأمراضا تقتلهم وفسادا يسرقهم، وتفرغوا للحديث عن مرسي والسيسي والإخوان والفلول، والمفاضلة بين الفاشية الدينية والفاشية العسكرية.

***

الذين يجمعهم الفقر داخل عربات المترو وفي طوابير الخبز وأمام شبابيك العلاج، تفرقهم السياسية في معركة إن كانت لها مكاسب سيجمعها غيرهم، والذين طالبوا النخبة مرارًا بترك القضايا الفوقية والنزول إلى الشارع، تركوا هم الشارع وصعدوا بأرجلهم إلى القضايا الفوقية، والذين كنا نرجوهم قبل سنوات ألا يشغلهم الفقر عن السياسة نقبل رؤوسهم الآن حتى لا تشغلهم السياسة عن الفقر.

يكره مؤيدو السيسي أنصار الإخوان، ويكره أنصار الإخوان مؤيدي السيسي،

ويكره الاثنان الواقفين في المنتصف، وتحولت السياسة من تنافس بين الحكام لخدمة المحكومين، إلى حرب بين المحكومين لخدمة الحكام.

تسببت السياسة في تعطيل الدراسة وفي تدهور السياحة وفي تراجع الاستثمار وفي تشرد العمال وفي توقف الدوري، لأنه بينما نعتقد أننا نمارس السياسة، يسمي الغرب الأمور بمسمياتها: مصر في حالة حرب.

نحن لا نعرف الحلول الوسط، تطرُفنا في تجاهل السياسة أضاع مصر لعقود، وتطرُفنا في حبها سيضيع مصر لقرون.

***

«من بين المحتجزين كان هناك أطفال في الثالثة عشرة والرابعة عشرة من عمرهم، أبرزهم ثلاثة كانوا في ميدان التحرير يرفعون صور السيسي وخرجوا من الميدان فساقتهم أرجلهم لمكان قريب من الاشتباكات، فأُلقي القبض عليهم بالخطأ، وعلى قائم مكتب أمين الشرطة كان يستند شاب مسيحي لا يتجاوز عمره الثمانية عشر عاما ويصرخ: (أنا مسيحي يا باشا.. ومفيش حاجة اسمها الإخوان المسيحيين) إلا أنه مكث محتجزا ١٠ ساعات تقريبا حتى تتأكد الشرطة أنه مسيحي ولا ينتمي للإخوان، كما كان بين المحتجزين من يعاني مشاكل عقلية، ومن تم اعتقاله عند نزوله من أوتوبيس نقل عام».

المقطع السابق من شهادة الزميل إسلام الكلحي الذي ألقي القبض عليه أثناء قيامه بعمله الصحفي يوم ٢٥ يناير ٢٠١٤، يؤكد أن من تفرقهم السياسة ربما تجمعهم زنزانة واحدة، وربما تكون تهمتهم الانتماء لجماعة يصبون عليها اللعنات كل ساعة، لأن الدولة التي يدافعون عنها تضطر أحيانا لتقديم بعض دراويشها قرابين لحربها الميمونة ضد الإرهاب.

لا يفرق الإهمال بين مؤيد لمرسي وعاشق للسيسي، لا يعفي الفساد محبي مبارك من دفع الرشوة، ولا ينتقي المرض الإخوان دون غيرهم، دعوا الفقر يوحدكم في مواجهة من أفقركم ولا تتركوا السياسة تفرقكم فتزدادوا فقرًا.

***

«مشاجرة بين طلاب الأورمان بالجيزة بسبب هتافات ضد السيسي»، «مشاجرة بين مُعلمين في مدرسة إعدادية بالدقهلية بسبب صورة السيسي»، «مؤيد للجيش يبلغ الشرطة عن قيادة ابنه لمسيرات المحظورة في بني سويف»، «زوج يبلغ الشرطة عن زوجته ويكشف دورها بتنظيم الإخوان»، «مواطن يطلق زوجته داخل لجنة استفتاء بالمنيا لتصويتها بـ(لا) للدستور».

هذه عناوين لأخبار تنشرتها الصحف والمواقع، وغيرها عشرات الأخبار المتشابهة التي تكشف كيف أصبحت السياسة تفرق بين المرء وزوجه والأب وابنه، وتحوّل زملاء الدراسة إلى خصوم، والجيران إلى أعداء.

يتربح النظام من نشر الكراهية في المجتمع لإلهاء الناس عن مطالبتها بتحسين أحوالهم، الآن تجد السلطة من يدافع عنها ويبرر أخطاءها ويتجاوز عن سقطاتها ويتحمل تقشفها حتى لا يشمت الخصوم، وتستخدم الإعلام لتعميق استقطاب يحقق لها مكاسب آنية لكنه قد يتسبب في حرب أهلية على المدى البعيد، وإن كان هذا ليس مستغربا من شريحة حاكمة لا تسعى إلا لوراثة مقعد الحكم والاستمرار فيه، فإن الغريب حقا مشاركة الناس في إنجاح هذا السيناريو بهمة منقطعة النظير.

## أقيلوا حبيب العادلي

-١-

يلتف عدد من أفراد الشرطة المدججين بالسلاح حول شاب عشريني مذعور أثناء إنزاله من سيارة الشرطة، وينهال الجميع عليه ضربا بالأيدي ودهسًا بالأقدام وسط محاولة منه لعدم السير معهم لأنه يعرف المصير الذي ينتظره داخل القسم.

وسط أصوات السباب والصفعات وجملة واحدة تخرج من الشاب «والله مليش دعوة» يظهر صوت إطلاق نار، وبعد لحظات يظهر الشاب مصابا بطلق ناري وتسيل الدماء من قدمه بغزارة بينما يجره أفراد شرطة يرتدون ملابس مدنية ويحملون البنادق الآلية إلى جهة غير معلومة.

الشاب أيا كانت تهمته فهو أعزل، تحت سيطرة الشرطة وفي عقر دارها ووسط العشرات من جنودها وفي عز الظهر، إذن فلا خطورة منه ولا خوف من هروبه، وبينما كان أمام الضباط والأمناء عشرات الخيارات لإجبار المتهم على السير أو حتى حمله إلى الداخل اختاروا الخيار الأسهل. إطلاق النار عليه.

لم تكن الشرطة لتقدم على هذه الجريمة لو أنها تعلم أن هناك من سيحاسبها، أو أن هناك نيابة عامة ستحقق مع المتهم في تهمته وتحقق بالتوازي مع من أطلق النار عليه وأساء معاملته وامتهمن كرامته، لكن فزاعة الحرب على الإرهاب تجعل كل من يطلب احترام حق الإنسان في الحياة والكرامة والتعامل الآدمي والمحاكمة العادلة تحت طائلة التشكيك في وطنيته ونواياه.

نعم مصر أسيرة لحكم الإرهاب. إرهاب جماعات الظلام وإرهاب شرطة مبارك والعادلي.

-٢-

«أنا هخليكي تولدي في قلب السجن» قالها أمين شرطة للسيدة دهب حمدي التي كانت متوجهة إلى طبيبها الخاص لأنها على وشك الولادة فألقي القبض عليها واتهامها بالانضمام لجماعة إرهابية، لمجرد مرورها قرب مسيرة للإخوان.

نفذ أمين الشرطة وعده ووضعت دهب مولودتها وهي مقيدة بالكلابشات وعجزت عن احتضانها كأي أم، فإذا بـ«دهب» التي يؤكد زوجها أنها لا تعرف شيئا عن السياسة تسمي ابنتها «حرية»، وربما تشارك دهب وابنتها في مسيرات كثيرة قادمة لتطالب بالحرية التي عرفت حلاوتها بعدما ذاقت مرارة القهر.

سيعرف آخرون تباعًا أن النظام الذي يبررون له بلا قلب ولا عقل حين يدخل قمعه إلى غرف نومهم، وسيكتشف خالد يوسف يومًا أنه بات شريكًا لـ«حاتم».

صورة بالكلابش أنقذت دهب من قائمة طويلة من الاتهامات الملفقة، وكم من مظلوم في سجون الداخلية بلا صورة.

-٣-

مادة (٥٤)

«الحرية الشخصية حق طبيعي، وهي مصونة لا تمس، وفيما عدا حالة التلبس لا يجوزالقبض علي أحد أو تفتيشه أو حبسه أو تقييد حريته بأي قيد إلا بأمر قضائي مسبب يستلزمه التحقيق.

ويجب أن يبلغ فورا كل من تقيد حريته بأسباب ذلك ويحاط بحقوقه كتابة ويمكن من الاتصال بذويه وبمحاميه فورا، وأن يقدم إلي سلطة التحقيق خلال

أربع وعشرين ساعة من وقت تقييد حريته.

ولا يبدأ التحقيق معه إلا في حضور محاميه فإن لم يكن له محام ندب له محام مع توفيرالمساعدة اللازمة لذوي الإعاقة وفقا للإجراءات المقررة في القانون».

مادة (٥٥)

«كل من يقبض عليه أو يحبس أو تقيد حريته تجب معاملته بما يحفظ عليه كرامته ولا يجوز تعذيبه ولا ترهيبه ولا إكراهه ولا إيذاؤه بدنيا أو معنويا ولا يكون حجزه أو حبسه إلا في أماكن مخصصة لذلك لائقة إنسانيا وصحيا، وتلتزم الدولة بتوفير وسائل الإتاحة للأشخاص ذوي الإعاقة، ومخالفة شيء من ذلك جريمة يعاقب مرتكبها وفقا للقانون.

وللمتهم حق الصمت. وكل قول يثبت أنه صدر من محتجز تحت وطأة شيء مما تقدم أو التهديد بشيء منه يهدر ولا يعول عليه».

-٤-

ما سبق هو نص مادتين في الدستور الجديد تتحدثان عن الضمانات الممنوحة للمتهم، لكن كما قال ديفيد كاميرون رئيس وزراء بريطانيا: «عندما يتعلق الأمر بالأمن القومي لا تحدثني عن حقوق الأنسان».

ولأن مصر وحدها هي التي سمعت هذه العبارة الافتراضية من «كاميرون»، سارعت السفارة البريطانية في مصر بنفي هذه الشائعة في سبتمبر ٢٠١٣، بل ووزعت السفارة على الصحفيين النص الكامل لخطاب كاميرون الذي ألقاه يوم ١٥ أغسطس ٢٠١١ في «أوكسفورد شاير» عقب أعمال الشغب والنهب التي شهدتها بريطانيًا والذي زعم مروجو الشائعة أنه قال هذه العبارة خلاله.

الغريب أن الخبراء الأمنيين والاستراتيجيين ومندوبي وزارة الداخلية في الأحزاب

ما زالوا يستشهدون بهذه العبارة حتى الآن، لأنهم بحثوا في التراث الإنساني فلم يجدوا قولًا يبرر إزهاق الأرواح بالشبهة، وبحثوا في التاريخ المصري فلم يجدوا أحدًا عوقب على الكذب.

-٥-

لا وقت للتلاعب بالألفاظ ولا لتوصيل المعنى بعبارات غير مباشرة، الشرطة تعادي كل من شارك في ٢٥ يناير وكل من أفقدها كبرياءها في ٢٨ يناير، لم ينس الضباط أنهم ظلوا لأسابيع بعد الثورة غير قادرين على السير في الشارع بملابسهم الرسمية، أو المرور في أي من ميادين الثورة حاملين هويات تكشف انتماءهم لجهاز الشرطة، وهم من كانت تدين لهم الأرض وتجري من تحتهم الأنهار بمجرد ارتداء البدلة ذات النجوم.

لا يمكن النظر لقتل المئات في رابعة العدوية، وإطلاق الرصاص الحي على المسيرات، وتصويب فوهات البنادق على صدور ورؤوس طلاب الجامعات، والاعتداء الوحشي على علاء عبد الفتاح أثناء القبض عليه، على أنه فعل طبيعي ومتزن، بل هو يعبر عن رغبة في الانتقام ممن شاركوا في الثورة بغض النظر عن انتماءاتهم وانحيازاتهم وتهمهم.

كثيرون طالبوا بعد تنحي مبارك في ١١ فبراير بإخضاع ضباط وأفراد الشرطة لعلاج نفسي لتجاوز آثار هذه التجربة التي توقعوا أن تترك أثرا بالغًا في نفس كل منهم، لكن الكل انشغل عن هذا المطلب وانشغل بملفات أخرى، وكانت النتيجة أن الانتقام من الثورة ورموزها والمشاركين فيها والمتعاطفين معها أولى عند بعض الضباط من حماية الوطن ومحاربة الإرهاب الحقيقي.

الآن ما زال ضباط الشرطة يحتاجون لعلاج نفسي لا ليحميهم من الإحساس بالضعف هذه المرة، ولكن ليحميهم من الإحساس بالقوة.

## «أردوغان».. عن المواقف الحقيرة نتحدث

-١-

أحقر المواقف على الإطلاق تلك التي ترهن علاقاتها مع مصر ببقاء حاكم ورحيل آخر، ذلك أن مصر تبقى كبيرة مهما صغر حكامها، وعزيزة مهما حاولوا إذلالها.

قلناها عندما رهنت بعض الدول علاقتها بمصر برحيل مرسي، ونقولها الآن بينما ترهن دول أخرى تعاونها مع مصر بعودته، فبقاء مبارك وطنطاوي ومرسي وعدلي والسيسي أو رحيلهم مجرد تفصيلة صغيرة في رواية كبيرة وممتدة اسمها مصر، قد تمل منها في بعض الصفحات، لكن صفحاتها البيضاء السابقة تهوّن الملل، ويقينك أن الصفحات القادمة ستحمل مفاجآت سارة يدفعك للمواصلة.

«لا نريد أن نأخذ مكان مصر في الساحة، لأنه لا يوجد دور حقيقي لمصر أصلا في عملية السلام الآن» قالها رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان في مقابلة مع شبكة «cnn» عندما سأله محاوره إذا كانت تركيا تطمع في أن ترث دور مصر في عملية السلام مع تصاعد الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، ليواصل الرجل هجومه المقيت على مصر والذي بدأه عقب عزل الرئيس الأسبق محمد مرسي في ٣ يوليو ٢٠١٣.

يسعى «أردوغان» بإصرار غريب لاستفزاز المصريين بتصريحات متعاقبة وشبه يومية تنتقص من قدر بلادهم وتستعديها لمجرد إزاحة الدكتور محمد مرسي من الحكم، وأيا كان اتفاق الكثيرين أو اختلافهم مع طريقة عزل مرسي وشرعية السلطة الحالية إلا أن هذا لا يمنح أحدا الحق في التطاول على مصر نفسها؛ لأن دورها سيبقى ويستمر أيا كانت أزماتها الداخلية.

سيبقى دور مصر في القضية الفلسطينية، تحديدا، واضحا لكل ذي عينين بدليل أن الحرب ما زالت دائرة في غزة رغم تصريحات أردوغان الكثيرة، وأن أحدا لم يطرح مبادرة بديلة للمبادرة المصرية التي تحفظت حماس عليها، وأن العالم كله بما فيه تركيا ينتظر موافقة مصر على التعديلات التي طلبتها حماس لتتوقف آلة القتل، وأن اتفاق وقف إطلاق النار سيطلق في القاهرة أو برعايتها آجلا أم عاجلا.

نعارض حكام مصر الحاليين ومن سبقوهم؛ لأن مصر أكبر منهم، وسنعارض أي دولة تشعر بأن مصر أصغر منها.

-٢-

ربما هي فرصة جيدة للفرز داخليا وخارجيا، فكما كشفت الأحداث السابقة من الذي كان يريد الحرية حقا ومن الذي كان يريد استبدال سيد بسيد، تكشف الأحداث الحالية الدول التي كانت تريد لمصر وشعبها الخير والدول التي كانت تريد لمصر أن تسير على الخط الذي يرضيها.

انهال الدعم الخليجي على مصر بعد رحيل مرسي رغم أن مصر كانت تعاني اقتصاديا قبل رحيله أيضا، لم تعطف دول الخليج الغنية على الملايين الذين ساءت أحوالهم بعد الثورة لأسباب كثيرة، بل على العكس استغلتهم وقودا للثورة على مرسي ودليلا على فشله في إدارة البلاد وعبرة لشعوبهم حتى لا تمتد الثورة إلى بلادهم.

انقطع الدعم القطري الذي كان كبيرا في فترة حكم مرسي بمجرد رحيله رغم أن الفقر لم ينته في مصر، فحتى إذا كانت قطر ترى أن ما حدث في مصر انقلاب عسكري، جربته قطر نفسها كثيرا، فلا ذنب للفقراء فيما جرى ولا مبرر لقطع المساعدات برحيل حاكم تفضله الدوحة إلا إذا كانت تلك المساعدات مكافأة للمصريين على انتخابه وقطعها عقابا لهم على عزله.

الآن تذكر أردوغان مصطلحات من نوعية الديمقراطية وحقوق الإنسان والقمع والدور المصري، لم ينطق الرجل بكلمة إدانة بعد أحداث الاتحادية، ولم يطالب مرسي يوما بالاستجابة لمطالب المعارضة وإشراك كل الفصائل في الحكم، ولم ينصحه بالتراجع عن الإعلان الدستوري الذي لم تر مصر خيرا بعده، ولم يطلب منه الإفراج عن المعتقلين أو محاسبة قتلة المتظاهرين في السويس وبورسعيد والقاهرة كما يطلب الآن الإفراج عن معتقلي الإخوان، ولم يبك الشهيدين محمد الجندي وجابر جيكا كما بكى الشهيدة أسماء البلتاجي.

لم ينس أردوغان أنه عضو سابق في الإخوان، وكذلك لم ننس نحن، وكما هتف الإخوان «يسقط حكم العسكر» بعدما كانوا يرون في السابق أنه «قلة أدب»، يتحدث أردوغان الآن عن تراجع مصر، وكأنها كانت تحكم العالم في عهد مرسي.

(كان أردوغان عضوا في حزب الرفاه المحسوب على الإخوان قبل أن ينشق عنه مع عبد الله جول ويؤسسا حزب العدالة والتنمية، وتوترت العلاقات بين أردوغان ورفاقه السابقين في حزب السعادة، حتى أن الحزب اتهم أردوغان قبل أيام بتقديم الدعم لإسرائيل مشيرا إلى دعوته الرئيس الإسرائيلي شيمون بيريز لإلقاء كلمة في مجلس الأمة التركي، فضلا عن وصول أن حجم التبادل التجاري مع إسرائيل في فترة حكم أردوغان إلى أعلى مستوياته فضلا عن مصادقة أردوغان على عضوية إسرائيل بمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية عام ٢٠١٠ وهي الخطوة التي لم تقْدم عليها أي حكومة سابقة)

-٣-

لا يعطي المصريون الدنية في وطنهم، استقبلوا أوباما قبل ٦ سنوات استقبال الفاتحين، كتبوا القصائد في ثقافته وثقته وكاريزمته، تحدثوا بإعجاب عن استخدامه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وتمنوا لو يرزق الله مصر برئيس

مثله، وبمجرد أن شعروا بأن مصر بالنسبة له قطعة شطرنج في منطقة يريد إعادة ترتيبها وضعوه في خانة الأعداء وعلقوا صوره على المشانق.

كذلك انبهر المصريون بأردوغان، أعجبوا بتجربته في تحييد الجيش، وأحبوا زوجته المتمسكة بحجابها في مجتمع علماني، وتحدثوا عن تجربة النهضة التي قادها في تركيا حتى جعلها قوة عالمية لها صوت مسموع وحضور اقتصادي مؤثر، لكن ما يفعله الرجل وما يقوله حاليا يجعله مرشحا للحاق بأوباما على نفس المشنقة، ما لم يفصل بين حكام مصر وشعبها، وبين انتمائه السياسي للإخوان ومنصبه كقائد دولة.

سيصب الإخوان لعناتهم على كاتب المقال لانتقاده أحد المنتمين لجماعتهم، نعرف أن فردًا إخوانيًا في منطقة نائية بماليزيا أعز على الإخواني من مصري يسكن معه في نفس الشارع وليس أخًا عاملًا في الجماعة، لكننا نعرف أيضا أن من لا يفصل بين اختلافه مع الحاكم وحبه للوطن أخطر على وطنه من الأعداء.

## بناقص المخترع الصغير.. عندنا «كفتة» كتير

في الربع الأخير من القرن الماضي أرسلت جامعة الإسكندرية تستعجل عودة أحد معيديها الذي طال به المقام في منحة علمية بالولايات المتحدة، وعندما أرسل المعيد للجامعة يؤكد له أنه في حاجة إلى وقت أطول لإتمام مشروعه، اتخذت الجامعة قرارا بفصله وطالبته برد الرواتب التي حصل عليها منذ تعيينه والتي لم تتجاوز حينها الألفي جنيه.

أنهى المعيد ارتباطه بالجامعة المصرية التي لم يطلب منها سوى مد إجازته ليقرر البقاء في بلد يقدر العلم، وهناك تنافست الجامعات الأمريكية على الفوز بخدماته، وكان يحصل من الجامعة التي التحق بها هناك على ٥٠ ألف دولار ميزانية لبحث واحد، كما وفرت له سكنًا وسكرتيرة خاصة، وغامر رئيسها بعشرات الآلاف من الدولارات لاستئجار كل الأجهزة التي كان يحتاجها.

بعد هذا التاريخ بأقل من ٢٠ عاما حصل المعيد المصري الذي هو الدكتور أحمد زويل على جائزة نوبل في الكيمياء، ولو أن لميس الحديدي كانت موجودة وقتها وسمعت بنبأ تفضيله البقاء في جامعة أمريكية على العودة لجامعته المصرية، لعقدت حاجبيها وأسندت قبضة يدها على المنضدة واقتربت برأسها من الكاميرا قائلة: «في ستين سلامة مصر فيها تسعين مليون زيك، إنت شايف إن مصر متستاهلش إنشالله ما عنك رجعت، ولا تستاهل مليم للبحث عنك».

هذا ما قالته لميس الحديدي فعلًا عندما علمت بتفضيل المخترع الصغير عبدالله عاصم البقاء في الولايات المتحدة على العودة لمصر، رغم أن الدولة لم تطالبه فقط برد أموال أو تفصله من عمله كما فعلت مع «زويل» من قبل، بل حبسته على ذمة التحقيق ومنعته من السفر وهو الذي لا يتجاوز عمره

الـ١٧ عامًا لاتهامه برفع إشارة رابعة العدوية والاعتداء على مقر أمن الدولة وحيازة سلاح وحرق سيارة شرطة.

لا تحاسبوا المخترع الصغير لأنه آثر السلامة، حاسبوا من جعل العيش في مصر تهديدًا للسلامة.

***

ربما ينتظر حسن فريد فرصة كالتي حصل عليها عبدالله ليثبت للسيدة لميس أن وطنًا يهين علماءه يستحق أن يستفيد بهم غيره.

حسن طالب مصري آخر بكلية الهندسة، اخترع «روبوت مقاتل» يمكن الاستفادة به في الأغراض الحربية لتنفيذ العمليات عن بعد، وحصل على براءة اختراع وشهادة تقدير من القوات المسلحة قبل عزل الرئيس السابق محمد مرسي؛ تشجيعا له على اختراعه.

حسن أدى امتحاناته بملابس السجن الاحتياطي وحوله عدد من رجال قوات الأمن بعدما أُلقت الشرطة القبض عليه واتهمته بحيازة «روبوت مقاتل» ليكون سبب تكريمه هو نفس سبب حبسه.

يقبع حسن في ظلمات السجن منذ شهور ومعه من الوقت ما يكفي لمراجعة اختراعاته.

***

لا يقول من يهاجم عبدالله الآن إنه موجود خارج السجن بصفة مؤقتة وإنه مهدد بالعودة إليه في أي لحظة، فهو لم يحصل على براءة من التهم الموجهة إليه، بل خرج على ذمة القضية بكفالة ٥ آلاف جنيه، وصادر ضده قرار بالمنع من السفر تم تعليقه ليشارك في المعرض الأمريكي ثم يعود.

من كان يضمن للشاب النابه ألا يلقى مصير صديقه حسن؟ من يضمن له أن يعود إلى مصر ثم يتمكن من مغادرتها مرة أخرى؟ من يضمن له أن النيابة ستستمع لمداخلات وزير التعليم في الفضائيات التي يدافع فيها عنه، وتتجاهل محاضر لا تخر الماء أعدتها الشرطة لتدينه بحرق سيارات واقتحام مقرات وحيازة أسلحة والتسبب في الحرب العالمية الثانية؟

نحن في بلد يسير من يحكمونه خلف نزواتهم، لا يعيرون العلم اهتمامًا، ويفرحون بأغنية تمجدهم أكثر من فرحتهم باختراع ينفعنا، فمن الطبيعي أن يختار شاب في مقتبل عمره بلدًا يقدر مواهبه ليعيش فيه، على بلد يستحل حبسه وقتله لمجرد أنه ولد فيه.

لكن كل ما سبق ليس مبررًا لتترك مصر يا عبد الله، انظر لنصف الكوب الملآن، فهناك علماء يلقون فيها تكريمًا عظيمًا ولك في اللواء دكتور إبراهيم عبدالعاطي عبرة وعظة، فالرجل أصبح لواء مكلفا في القوات المسلحة في عمر الـ٦٧، وأصبح دكتورًا رغم أنه فني معامل، بعدما اخترع جهازا يحول مرض الإيدز إلى كفتة.

العيب فيك إذن يا صغيري وليس في الحكومة، لأن اختراعك الذي يساعد مرضى الشلل الرباعي على التواصل لا يفتح الشهية!

## غزة إيه وزفت إيه؟!

-١-

«الدماء التي تسيل على أرض غزة من المتسبب فيها؟ هل إسرائيل هي التي بدأت بإطلاق النيران؟ أم أن حماس هي التي قامت بخطف ٣ إسرائيليين في عملية استفزازية الهدف منها استفزاز إسرائيل لضرب غزة».

قائل هذه العبارة ليس أفيخاي أدرعي المتحدث باسم جيش الاحتلال بل هو توفيق عكاشة صاحب قناة الفراعين الذي لم يكتف بما قاله، بل شن هجوما على وزير الدفاع ورئاسة الجمهورية بسبب إرسال معونات طبية وغذائية إلى قطاع غزة قائلا: «غزة مين وزفت مين؟، أنا لأول مرة أعلن أنني ضد الفريق صبحي وضد الرئيس السيسي، ترفعوا لنا الأسعار وتودوا قوافل لغزة؟ بلا غزة بلا مصيبة بلا نيلة بلا هباب».

يكرهون حماس، لأنها تقاوم ولأنهم منبطحون، حاولوا تشويهها فألصقوا بها تهمة اقتحام السجون وتنفيذ عمليات إرهابية في مصر ونسوا أن التهمة تدينهم بالفشل والإهمال قبل أن تطول حماس بالعنف والتآمر، ونسوا أنهم حين أرادوا تلفيق قضايا لقيادات حماس وضعوا بين المتهمين شهداء وأسرى، ونسوا أنه لم يصدر حتى الآن حكم قضائي واحد يدين حماس بالعمل ضد مصلحة مصر.

يركزون على عدد محدود من قادة حماس يتواجدون في دول أخرى للتأكيد على أن قيادات الحركة مجموعة من الجبناء الذين يدفعون الناس للموت بينما هم في فنادق قطر وأوروبا، ويتجاهلون أن هذا شأن أي دولة محتلة لابد لها من ممثلين يدعون لقضيتها في الخارج، ويتجاهلون مئات القيادات الحمساوية

المتواجدة الآن في قطاع غزة بينما يتم دكه بطائرات العدو وعلى رأسها هنية والزهار، ويتجاهلون عشرات القادة الكبار الذين استشهدوا في شوارع القطاع وعلى رأسهم ياسين والرنتيسي.

حماس هي الكيان الوحيد الذي يطلق النار على إسرائيل الآن، وأيا كانت العيوب التي فيها فهي في كل الأحوال أفضل من جيوش تستورد الرصاص من أعدائها لتوجهه إلى صدور شعوبها.

-٢-

«مسافة السكة.. مش كده ولا إيه» قالها السيسي مبتسما في إشارة لتحرك مصر وجيشها لصد أي خطر خارجي يمس أمن دول الخليج العربي، باعتبار أن أمن دول الخليج جزء لا يتجزأ من الأمن القومي المصري.

معلومة: المسافة بين حدود مصر والخليج العربي عدة آلاف من الكيلو مترات، والمسافة بين حدود مصر وقطاع غزة عدة مترات، لكن الرئيس يرى أن الأمن القومي المصري يتهدد أكثر إذا تعرض الخليج لخطر، بالطبع فالقطاع لم تظهر فيه بعد آبار النفط.

قالوا إن ٣٠ يونيو جاءت لتعيد مصر إلى امتدادها العربي الذي كان الإخوان يريدون أن يسحبوها منه، وبعد عدة شهور داسوا على القضية الفلسطينية التي هي أم القضايا العربية بأحذيتهم، وقالوا إن الإخوان سيئون لأنهم يخلطون الدين بالسياسة فإذا بهم يخلطون الانحطاط بالدين والسياسة معًا.

سيقولون إن حماس رفضت مبادرة السيسي لوقف إطلاق النار، ورغم أن موافقة إسرائيل على المبادرة بعد ساعات من إعلانها سبب كاف لرفضها، إلا أن الحركة تمتلك مبررات وجيهة أخرى تدفعها إلى الرفض، أهمها أنها لم تتضمن

كلاما واضحا عن رفع الحصار عن القطاع، أو الإفراج عن الأسرى المحررين في صفقة شاليط والذين أعادت إسرائيل اعتقالهم، فضلا عن استخدام كلمة «الأعمال العدائية» في مبادرة مصر، وهو ما ترفضه المقاومة التي تعتبر ما تقوم به دفاعا عن النفس ومقاومة مشروعة للمحتل.

ويبدو أن النظام يتعامل مع حماس بنفس منطقه في التعامل معنا، إما أن تقبل كل شيء أو تصبح عدوا، إما أن تقبل الحرب على الإرهاب بمنطقنا وأسلوبنا أو تكون داعما للإرهاب وإرهابيا، إما أن تقبل مبادرتنا لوقف إطلاق النار أو نطلق عليك جيوشنا الإعلامية والسياسية تنهش في شرفك.

مسؤولية مصر عن القضية الفلسطينية ليست مبادرة ترفضها حماس فنعود لمشاهدة مسلسلات رمضان، مسؤولية مصر عن القضية الفلسطينية لا تختلف عن مسؤوليتها تجاه مشكلة نقص المياه في الصعيد، غزة جزء من مصر والقضية الفلسطينية قضية مصر، شاء من شاء وأبى من أبى.

-٣-

يريد النظام الجديد أن يقضي على الإخوان تمامًا، لكن هناك مشكلة بسيطة، فالجماعة مرتبطة بحماس ومن ثم بالمقاومة، لا بأس، هيا بنا نقض على المقاومة.

يفرّط النظام في ورقة مهمة يمكن أن يضغط بها على أمريكا وإسرائيل في قضايا أخرى، وكما تمنى مرسي السلامة من قبل للخاطفين والمخطوفين، يطلب السيسي السلامة الآن للقاصفين والمقصوفين، ورسب الرجل الذي يعتبره أنصاره زعيم العرب في أول اختبار لأحقيته باللقب، وأفقد مصر قضية تمسك بكل خيوطها منذ عشرات السنين.

هـي معادلـة سـهلة لكننـا نُصعّبهـا، لا تناقـض بـين معارضـة الإخـوان وتأييـد المقاومـة، لا تعـارض بـين الخـلاف مـع حـماس لدعمهـا الإخـوان ودعـم حـماس في مواجهـة عـدو أكـبر، لا فـرق في وقـت الحـرب بـين معـاداة حـماس وتأييـد إسرائيـل.

الصـورة الآن أكـثر وضوحـا مـن أي وقـت مـضى، والسـؤال واحـد وليـس لـه إلا خيـاران، أيهـما أقـرب إليـك؟ حـماس أم إسرائيـل؟

عبد العاطي في العلم.. وريهام في الإعلام

-١-

بينـما كانـت ريهـام سـعيد تعـرض حلقـة عـن الجـن ومنـى عراقـي تقتحـم وكـرًا للشـذوذ وهبـة قطـب تتحـدث عـن أوضـاع الجـماع، كان باسـم يوسـف وريـم ماجـد وعمـرو حمـزاوي قـد أُجـبروا عـلى التـزام منازلهـم، وبينـما كانـت محكمـة جنـح عابديـن تـبرئ دينـا مـن تهمـة إشـاعة الفسـق في برنامـج الراقصـة، كان عـشرات الشـباب يقبعـون خلـف الأسـوار بتهـم رسـم جرافيتـي نـشر دعايـة مضـادة للدسـتور والمشـاركة في وقفـة احتجاجيـة.

تحترم الدولة نصف الحريات العامة الأسفل.

-٢-

بعـد ٣٠ يونيـو ٢٠١٣ كان الإعـلام المؤيـد للسـلطة هـو البطـل، كانـت برامـج التـوك شـو تحظـى بنسـب مشـاهدة عاليـة عـلي المقاهـي وداخـل المنـازل، مـع الوقـت

أصبحت كل عبارات التأييد مكررة، وكل عبارات الحرب على الإرهاب مملة، وكل عبارات الحث على الصبر مستفزة، وكل الوعود بحياة أفضل وبوطن أد الدنيا خيالية.

انتهت دفعة التسجيلات الشخصية التي سلمها أمن الدولة للإعلاميين لتشويه النشطاء، وانتهت الإثارة والمشاجرات من البرامج في ظل استضافة ممثلين لتيار واحد طوال الوقت، وبدأت حالة التململ من أداء المذيعين والتنقيب في رواتبهم السنوية والزهد في مشاهدتهم وتفضيل مباريات دوري أبطال أوروبا وحلقات هبة رجل الغراب.

وضع مقلق لنظام جاء ويستمر بالإعلام وفقط، لذلك كان من الضروري عن دور آخر يقوم به الإعلام لخدمة النظام، وتم استبدال نظرية «الزن على الودان أمر من السحر» بنظرية «إذا لم تستطع أن تقنع الآخر بوجهة نظرك غيّر الموضوع».

-٣-

المتابع لأداء القنوات الفضائية يدرك بالفعل أن التوجيه قد جاء إليها بتغيير الموضوع وتخفيف جرعة السياسة مقارنة بالوضع قبل عدة أشهر من الآن، فأصبحت برامج الفضائح والخرافات والاستشارات الجنسية تفوق في عددها وساعات بثها برامج التوك شو، حتى برامج التوك شو نفسها بدأ تغيير يطرأ على نوعية موضوعاتها وضيوفها ليصبح من المعتاد أن ترى مذيعا لم يتحدث في شيء بخلاف السياسة في السنوات الأربعة الماضية يناقش مع ضيوفه أزمة الملل الزوجي أو يستضيف فرقة غنائية أو يحيي ذكرى وفاة شاعر راحل.

أدركت السلطة أنها لن تبقى إلى الأبد تبيع الهواء، وأن الإعلاميين الذين تربيهم في حديقة القصر غير قادرين على تسويق إنجازات غير موجودة ولا يبدو أنها ستكون موجودة قريبا، ومن هنا انتصر إعلام ريهام سعيد ومنى عراقي على إعلام أحمد موسى وتوفيق عكاشة، لأن الأول هو الأفيون الشرعي الذي تجبر السلطة شعبها على تعاطيه دون مسؤولية قانونية عليها، أما الثاني فهو نوع من الحشيش المخلوط بالحناء وحبوب الهلوسة، سيتعاطاه الناس لفترة ثم يحطموا الغرزة على أدمغة أصحابها بمجرد معرفتهم الحقيقة.

لا مجال للحديث أصلا عن إعلام باسم يوسف في هذا المناخ، فنظام ينفق المليارات على الأفيون لن يسمح لأحد بكشف أضراره.

-٤-

٣ ملايين و٤٦٠ ألف مشاهدة حققتها حلقة ريهام سعيد عن الجن على موقع اليوتيوب في ٤ أيام، هي وصفة مثالية لنظام يفشل في إحراز الأهداف فيتفنن في إضاعة الوقت، سينشغل الناس لأيام بالقضية، سيتحدث البعض عن رأي الدين فيها، ويدافع البعض عن حق الإعلام في عرض أي قضية، ويستنكر البعض محاولة شغل الناس بقضايا هامشية، ويسخر البعض من المذيعة وموضوع الحلقة، وعندما ينتهي الجدل حول الحلقة ستكون حلقة منى عراقي عن السلوك الجنسي لفرس النهر اليتيم جاهزة.

ربما تطيل هذه القضايا عمر النظام لفترة لكنها تؤكد انتهاء كل وسائله في الدعاية لنفسه وقلة حيلته في إقناع الناس بمشروعه الهلامي وحروبه مع الريح، ولن يستمر نظام رمزه العلمي الدكتور عبد العاطي ورمزه الإعلامي الأستاذة ريهام.

## قبل أن تمنعوا أذان المغرب!

تدين مصر الاعتداء على المسلمين في بورما، تطالب أمريكا بضبط النفس وعدم الاعتداء على المتظاهرين السلميين، ترفض الانقلاب الفاشل في جنوب السودان، وبمجرد إدانة دولة لأي حدث يقع في مصر، أو وصفها ما حدث في ٣ يوليو بالانقلاب العسكري، يظهر على الفور الصراخ الرافض للتدخل في شؤوننا الداخلية والحديث البائس عن المؤامرة الغربية.

بعد شهور طويلة من القطيعة مع قطر بسبب موقفها من ٣٠ يونيو وأداء قناة الجزيرة، انتفض الإعلام المصري ضد تقرير تم بثه في التليفزيون المغربية يصف ما حدث في مصر بالانقلاب وينتقد نظام عبد الفتاح السيسي، وكأن المنبطحين والمتنطعين والمنافقين لم يكتفوا بكبت حريات المعارضين وحبس المخالفين داخل مصر، فأرادوا ألا يتكلم العالم كله بما يُرضيهم، وأن يجعلوا كل صحفه وقنواته نسخة من صحفهم وقنواتهم التي ترأس تحريرها الشؤون المعنوية!

من حق أي دولة في العالم أن ترى ما حدث في مصر ثورة أو أن تراه انقلابًا، وكما تخرج الخارجية المصرية لتعلن موقفها من الأحداث التي تجري في العالم ليس غريبا أن تُقدم بقية الدول على التصرف نفسه، هذا ما يجب أن يفهمه الإعلاميون المبرمجون على النباح بمجرد سماع كلمة «انقلاب».

***

الأزمة ليست ما قاله التليفزيون المغربي، لكنها في عدم استيعاب السلطة الحاكمة في مصر والإعلام الذي تربيه في حظيرة قصرها للأوضاع في هذا البلد

العربي، هناك حرية رأي ومجتمع مفتوح، هناك أحزاب قوية، هناك قبول للآخر وشراكة في الحكم رغم نظام الحكم الملكي، هناك تجربة عدالة انتقالية ناجحة جنبت البلاد دماء كالتي نغرق فيها الآن، لذلك لا يُشترط أن يمر كل تقرير في تليفزيون الدولة على مقص الرقيب، ولا يُتصور أن يقمع المغاربة رأيهم فيما حدث في مصر خوفا من دولة لم تعد تخيف إلا شعبها.

مادمنا قد تذكرنا فجأة أن هناك دولة شقيقة اسمها المغرب فلهذه الدولة تجربة تستحق أن ننظر إليها ونتعلم منها خاصة أنها شبيهة بتجارب مررنا وما زلنا نمر بها.

«سنوات الرصاص» هذا هو الوصف الذي أطلقته أحزاب المعارضة في المغرب على فترة حكم الحسن الثاني، ففي عهده سجن الآلاف وتفننت فيه الأجهزة الأمنية والمخابراتية في مراقبة كل شيء وإحصاء أنفاس المغاربة.

كرّس الملك الراحل العداوة بين القصر والقوى السياسية، وجعل الهاجس الأمني هو الموجه لكل السياسات، ومارس قمعا غير مسبوق للتصدي للانفجارات الاجتماعية التي حدثت في عهده جراء تردي الأوضاع الاقتصادية، مما جعل المغرب يدخل في فترة سوداء من العنف والعنف المضاد، واقتصر البلد على شريحتين «القلة القليلة» التي تتحكم في مصادر الثروة، و»باقي المغاربة» الذين ظلوا يعانون تدهور أحوالهم سنة تلو الأخرى، وقتل مئات المعارضين واختفى الآلاف قسريا، لكن تبقى العلامة الأكثر سوادا في العهد الحسني، القمع الشرس لانتفاضات الخبز في سنوات، ١٩٨١ و١٩٨٤ و١٩٩٠ والتي وصف فيها الملك المتظاهرين بالأوباش والغوغاء.

وليس من دليل على ذلك أبلغ من شهادة الملك الحسن نفسه حين قال: «لو فكرت يوما في تدوين مذكراتي لقمت بعرض حصيلة أخطائي»

***

ورث الملك محمد السادس عن والده تركة ثقيلة وثأرًا موجودا في كل منزل، وكان أمام خيارين، إما مواصلة طريق القمع لنهايته أو البحث عن بداية جديدة، فلجأ إلى الخيار الثاني.

في ٢٠٠٤ شكّل محمد السادس «هيئة الإنصاف والمصالحة» من نخبة من الناشطين والمناضلين الحقوقيين والمعتقلين السياسيين السابقين، وكلفها بالتحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان في المغرب منذ ١٩٥٦ إلى ١٩٩٩ لرد الاعتبار للضحايا وتحقيق المصالحة الاجتماعية الشاملة.

عقدت الهيئة جلسات استماع عامة تم نقلها مباشرة عبر وسائل الإعلام للضحايا الذين قدموا الشكاوى وبدأت الحقائق تتكشف للرأي العام بعدما تحدث الضحايا عن ظروف الاعتقال والتعذيب والاختطاف التي مروا بها، كما فحصت آلاف الوثائق المرتبطة بالانتهاكات والخروقات الخاصة بمن تعرضوا للاختفاء القسري والاعتقالات التعسفية والتعذيب وسوء المعاملة وإطلاق النار خلال كافة الأحداث التي شهدتها البلاد في العقود السابقة.

وبعد نحو عامين من العمل المتواصل قدمت هيئة الإنصاف والمصالحة تقريرا حول عملها للعاهل المغربي، حمل توثيقا للانتهاكات التي مورست بحق العديد من الضحايا مثل الاختفاء والدفن الجماعي والتعذيب، بالإضافة لمعلومات وافية عن السجون والمعتقلات السرية، والتوصيات التي تكفل منع تكرار هذه الممارسات في المستقبل.

قطع المغرب بعد ذلك خطوات كثيرة في سبيل إصلاح المؤسسات واحترام حقوق الإنسان واقتسام السلطة، وتمت بالقصر الملكي بالرباط مصادقة مجلس الوزراء المغربي على القانون التنظيمي الذي يرسم الخارطة الجديدة لتقسيم السلط بين الملك ورئيس الحكومة في ما يتعلق بتعيين المسؤولين في أكثر من مائة مؤسسة ومقاولة عمومية استراتيجية.

**وبموجب هذه المصادقة يكون الملك محمد السادس فقد تم توزيع سلطة التعيين بين الملك محمد السادس، حتى أنه في فبراير ٢٠١٢ كان رئيس الحكومة المغربية عبد الإله بنكيران المنتمي لحزب العدالة والتنمية الإسلامي يوقع على** قانون لتقسيم السلطة بين الملك ورئيس الحكومة، بحيث احتفظ الملك بحق تعيين المشرفين على ٣٧ مؤسسة إستراتيجية، في مقابل ٥٢ مؤسسة يحق لرئيس الحكومة اختيار المشرفين عليها.

والآن تعيش دولة المغرب «الملكية» تجربة ديمقراطية لا تتركز فيها السلطة في يد شخص واحد أو مؤسسة دون غيرها، ويُسمح فيها للأحزاب بالعمل والتنافس، وللمواطنين بالتعبير عن الرأي والخلاف، نعم ما زالت هناك نواقص لكن الأكيد أن المغرب يسير على الطريق الصحيح.

***

إن كنتم تريدون أن تذكروا اسم المغرب فاذكروه لتتعلموا كيف انتقل من الدم والرصاص إلى المصالحة والبناء، ذلك أجدى وأنفع من فتح النار عليه واستعدائه بسبب كلمة لم تعجبكم.

## سامح سيف مين؟

-١-

يقضي ضابط المخابرات السابق اللواء ثروت جودة عقوبة السجن لمدة عام بتهمة إفشاء أسرار تخص الأمن القومي وأخرى تخص نظام العمل بالجهاز، ويقضي ضابط المخابرات السابق اللواء سامح سيف اليزل يومه متنقلا بين الفضائيات لإفشاء أسرار تخص الأمن القومي وأخرى تخص نظام العمل بالجهاز.

مصر التي تضع صور ٣ شباب في كتب التاريخ لأنهم تظاهروا في ٣٠ يونيو، وتضع مئات غيرهم في السجن لأنهم تظاهروا بعد ٣٠ يونيو، ليس غريبًا أن يتحدث فيها لواء سابق عن تفاصيل دقيقة لا يجب أن تخرج إلا عن مسؤول كبير في الدولة، ويُسجَن لواء سابق آخر لنفس السبب.

-٢-

في دولة لا تجرؤ على تفسير قراراتها يكون رجل مثل اللواء سامح سيف اليزل مخرجًا جيدًا وآمنًا، فهو من ناحية يُشبع فضول الرأي العام وبالتالي يتخلص متحدثوها الرسميين من ملاحقات الإعلام بعد كل قرار ذي طابع أمني، ومن ناحية أخرى ليس له أي صفة رسمية في الحكومة ولا الأجهزة وبالتالي يمكن التنصل من تصريحاته بسهولة إذا ماتسببت في أي أزمة بالتأكيد على أنه لا يمثل الدولة.

يقدم سيف اليزل نفسه دائما على أنه «خبير استراتيجي»، والخبير دوره كما

جـرت العـادة تحليـل الأحـداث والأخبـار مـن واقـع خبرتـه الأمنيـة، لكـن الرجـل اسـتحدث دورا جديـدة للخبـير الاسـتراتيجي، وهـي امتلاكـه جميـع المعلومـات عـن كل الأحـداث طـوال الوقـت، لذلـك يجـده الصحفيـون ومعـدو البرامـج الخيـار الأمـل بعـد أن يفقـدوا الأمـل في الحصـول عـلى رد مـن أي مصـدر رسـمي، وبمـرور الوقـت لم يعـد الإعلاميـون يضيعـون أوقاتهـم في محاولـة الوصـول إلى هـذا المصـدر الرسـمي، وأصبحـوا يتصلـون مبـاشرة باللـواء سـيف اليـزل الـذي فـراغ الهـواء بروايـات متماسـكة وردود شـبه رسـمية.

هـي علاقـة منفعـة متبادلـة بـين دولـة لا تريـد أن تتـورط في أي موقف ولا يُحسـب عليهـا أي تصريـح، ولـواء متقاعـد يرغـب في أن يبقـى تحـت الأضـواء بشـكل يدعـم «البيزنـس» الخـاص بـه المتمثـل في رئاسـته مركـزًا بحثيًـا ودوره في شركـة خدمـات أمنيـة.

-٣-

«اللـواء خالـد المديـر الحـالي للمخابـرات رجـل أشـهد لـه بالكفـاءة عـلى أعـلى مسـتوى وقضايـا كبـيرة وفي ثـورة ٢٥ يناير كان يمسـك ملـف النـاس التـي دخلـت مـصر أثنـاء الثـورة»، هـذا مـا قالـه سـامح سـيف اليـزل عـن مديـر المخابـرات الجديـد الـذي حـل محـل اللـواء فريـد التهامـي.

الـكلام يحـرج الدولـة بوضـوح، فالروايـة التـي اجتهـد النظـام في تسـويقها عـبر أذرعـه الإعلاميـة والقانونيـة أن هنـاك أشرارًا تسربـوا مـن الحـدود قبـل الثـورة بأيـام، وهـؤلاء هـم مـن قتلـوا الضبـاط والمتظاهريـن واقتحمـوا السـجون وأسـقطوا الداخليـة، فكيـف يـأتي المسـؤول الأول عـن ذلـك مديـرًا للمخابـرات؟.

الأمـر هنـا لا يخـرج عـن احتمالـين، إمـا أن روايـة الأشرار والحـدود كاذبـة ومـن ثـم يجـب عـلى الدولـة البحـث عـن روايـة أخـرى، أو أنهـا صحيحـة ومـن ثـم يصبـح

تعيين المسؤول عن كل ما لحق بالدولة من أذى مديرًا للمخابرات خطأ يجب تصحيحه والاعتذار عنه.

هذه ليست المرة الأولى التي يقول فيها سيف اليزل كلامًا يحرج الدولة (أو يكشفها)، فقبل ذلك قال الرجل إن المجلس الأعلى للقوات المسلحة تعمد تمويل قوى سياسية وإطالة الفترة الانتقالية لتدمير شعبية الإخوان المسلمين، كما كشف عن أن القوات المسلحة مولت أحزابًا كثيرة ماليًا لمواجهة الإخوان المسلمين في الانتخابات البرلمانية التي جرت عام ٢٠١٢.

ربما ينظر البعض إلى هذا التصريح على أنه رغبة من القوات المسلحة في تأكيد الدور الذي قامت به في مواجهة الإخوان، لكنه على الجانب الآخر يؤكد أمرًا يسعى المسؤولون العسكريون لنفيه طوال الوقت وهو وجود دور سياسي للقوات المسلحة، لكن بقاء سيف اليزل في أداء نفس الدور بعد هذه التصريحات يؤكد أن تصريحاته رسائل تريد المؤسسة العسكرية توصيلها للرأي العام لهدف يعلمه قادتها، وإلا لكان سامح سيف اليزل يقضي ساعة التريض الآن إلى جانب اللواء ثروت جودة.

-٤-

سيبقى سامح سيف اليزل وكل سامح سيف اليزل في الصورة ما دام قانون حرية تداول المعلومات غائب وما دامت الحرية نفسها محل نقاش، وستبقى مصر على هذا الحال ما دام فيها مسؤولون يتخذون القرار ولا يجرؤون علي تبريره.

## فضيحة في البيت الأبيض

القضية هذه المرة أشد خطورة وكارثية، فإذا كانت ووترجيت الأولى اقتصرت على محاولة تنصت من الرئيس على الحزب المنافس، فالأمر في «ووترجيت ٢» يتعداه من إلى تورط الرئاسة في التزوير ضد متهم بالاشتراك مع السلطة القضائية ووزارة الداخلية والمؤسسة العسكرية، وإذا مرت الواقعة دون حساب سيفقد الجميع الثقة في أجهزة الدولة التي يفترض فيها الحياد والنزاهة.

حاولوا التغطية على الواقعة بادعاء تلفيقها وتقليد أصوات أبطالها عن طريق المخابرات الروسية التي لا تريد خيرا لأمريكا، لكن هذه الرواية لم تكن مقنعة بما يكفي لأن خبراء الأصوات يمكنهم التحقق من صحة التسجيل ببساطة ووقتها سيكون وضع الدولة أسوأ، حاولوا استخدام وسائل الإعلام التابعة لهم للتأكيد على أنه بفرض صحة التسجيلات فإنها تؤكد امتناع الدولة عن التدخل لدى السلطة القضائية لتجاوز خطأ في الإجراءات، لكن هذه الرواية أيضًا ليست مقنعة لأن المقطع المسرب ورد فيه اسم المدعي العام الأمريكي والمحامي العام لنيابات شرق واشنطن وشخصيات قضائية أخرى تحاول البحث عن مخرج للسلطة ولو بالتزوير.

تسرُع المدعي العام أيضًا وضع الإدارة الأمريكية في مأزق جديد، فالرجل أعلن بعد ساعات من ظهور التسريب أنه مفبرك وأنه سيفتح تحقيقا سريعا للتوصل إلى هوية مروجيه، وهذا التسرع دفع الأمريكيين للتساؤل عن كيفية تأكده من فبركة التسجيل هكذا دون الرجوع لخبير أصوات أو استجواب من وردت أسماؤهم فيه، هذا التسرع فضلا عن ورود اسم المدعي العام نفسه في التسريب بشكل يدينه جاءا بنتيجة عكسية حيث بات افتراض صحة التسجيلات إلى الناس أقرب من افتراض فبركتها.

في البيت الأبيض لم يكن المسؤولون يفكرون في كيفية تجاوز هذه الأزمة، هم لا يرونها أزمة أصلا ويستندون إلى أن غالبية الناخبين يثقون في الرئيس ثقة مطلقة لذلك سيصدقون الرواية الرسمية عن الواقعة، وحتى إذا لم يصدقوها سيعتبر الكثيرون أن الرئيس يعرف أكثر، وأنه بالطبع يتخذ القرارات الصحيحة لخدمة الوطن، كان المسؤولون يفكرون في كيفية تسجيل مقابلات سرية على مستوى عال كهذه وكيفية خروج حاملها ببساطة من مقر الرئاسة، حتى عندما حاول أحد الموظفين الكبار الدفاع عن رواية فبركة التسجيلات بمعرفة مخابرات معادية نظر الآخرون إليه بازدراء وواصلوا التفكير في السؤال الأول ليس لأنهم يريدون معرفة إجابته بقدر ما هو محاولة للوصول إلى رد يقنع الرئيس الذي سيلقي عليهم نفس السؤال بعد قليل.

لكن أزمة حقيقة تواجههم في سياق البحث عن مخرج مريح، وهي أن كل الجهات المسؤولة عن التحقيق في التسريب والتوصل إلى قرار بشأنه شهادتها مجروحة بعدما ورد اسمها في فيه بدءا من الرئيس مرورا بالمدعي العام والمحققين ووصولا إلى قيادات القوات المسلحة ووزارة الداخلية، لكن لحسن الحظ أن الكونجرس لم ينعقد بعد، أضف إلى ذلك أن وسائل الإعلام كلها تحت السيطرة ومن ثم يسهل إقناع الناس بأي سيناريو مهما بدا غير مُقنع.

في مكتبه الفسيح بالبيت الأبيض كان الرئيس يعض شفتيه في غيظ بعدما طلب من سكرتيره الشخصي ألا يُدخل عليه أحدًا أو يحوّل إليه أي تليفونات، يحاول الوصول إلى إجابات على عشرات الأسئلة التي تتزاحم في رأسه وتفسد عليه يومه: كيف وصل الأعداء إلى قلب مكتبه وهو الذي لم يصطحب معه إلى مقره الرئاسي إلا جنرالات سابقين يثق في ولائهم وحسهم الأمني؟ هل يتخذ إجراءات عنيفة مع فريقه الرئاسي أم أن هذا سيُفهم فورا على أنه اقرأر بصحة التجسيلات؟ وإذا اضطر للإبقاء عليهم ولو مؤقتًا كيف يضمن أن الذي حدث لن يتكرر مجددا؟، بل من يضمن أن من نجح في الحصول على تسجيل من قبل مكتبه لن ينجح في النيل من سلامته الشخصية.

ضغـط الرئيـس عـلى الـزر فجـاء سـكرتيره الشـخصي، طلـب منـه اسـتدعاء أفـراد طاقمـه الرئـاسي عـلى وجـه السرعـة وخـلال دقائـق قليلـة كانـوا يقفـون أمـام مكتبـه في توتـر بالـغ، نظـر الرئيـس إليهـم وقـال:

هل توصلتم إلى المسؤول عن فبركة التسجيل المزعوم؟

طبعا يافندم؟

مين؟

الإخوان يافندم.

أنـا كان قلبـي حاسـس إنهـم وراهـا، بـس لـو سـمحتم التعامـل معاهـم يكـون بـكل احـترام ونراعـي معايـير حقـوق الإنسـان حتـى لـو ضربـوا علينـا نار.

احنا بنحب حقوق الإنسان يافندم

قـام الرئيـس مـن عـلى مقعـده واقـترب مـن مرؤوسـيه وخفـض صوتـه قائـلا: كويـس جـدا كـدة عشـان لمـا الـكلام يتـذاع محـدش يمسـك علينـا حاجـة. تعالـوا بقـى نقـول الـكلام الـلي بجـد في أي كافيـه!

## مات الهلال مع الصليب

-١-

على لوحة إعلانات بطريق الإسماعيلية الصحراوي تدلى جثمان فرج رزق فرج بعدما انتحر شنقًا للخلاص من ديونه المتراكمة وعجزه عن تلبية متطلبات أسرته.

من عمارة سكنية بمدينة العاشر من رمضان كانت جثة أشرف صابر صليب معلقة في حبل غسيل تنتظر معاينة النيابة بعدما انتحر شنقًا لمروره بضائقة مالية لم يقدر على تجاوزها.

فرج مسلم وأشرف مسيحي.. هل هذا يهم؟

-٢-

لفترة طويلة ترسخ اعتقاد أكيد لدى كثير من المصريين بأنه لا يوجد مسيحيون فقراء، وأن الكنيسة توزع الأموال ببذخ على أتباعها من الأموال التي تنهمر عليها من الخارج، وإذا حاولت أن تجادل أحدا في هذه القناعة رد عليك فورا: «عمرك شفت شحات مسيحي؟».

ولأن الإجابة على الأسئلة الوجودية لا تكون إلا بأسئلة وجودية أخرى، فاسأل سائلك: «يعني انت عمرك طلبت من شحات بطاقته الشخصية؟».

المسلمون والمسيحيون شركاء في وطن واحد، وفي فقر واحد أيضًا.

-٣-

كان بوسع فرج وأشرف أن ينتحرا في الخفاء. حبل معلق في سقف الغرفة يشنقان به نفسيهما ليتركا الدنيا في هدوء دون ضجيج كعشرات غيرهما، وليقتصر الأمر على خبر صغير لا يلفت نظر أحد: «انتحار موظف في سقف غرفته لمروره بضائقة مالية».

لكن يبدو أنهما أرادًا رحيلًا مختلفًا، رحيل أقرب إلى صرخة في وجه التجاهل، فإذا كان المجتمع لم يشعر بهما أحياء فمن الظلم أن يموتا أيضا دون أن يشعر بهما أحد.

أرادا كشفنا أمام أنفسنا، اهتمام بالحادث لا يتجاوز أيام، جدل حول مصير المنتحر في الآخرة، صورة تسيطر على صفحات «فيس بوك» و«تويتر» لبعض الوقت، استغلال سياسي للواقعة من كل الأطراف، ثم يبحث الجميع عن شيء آخر يشغله وكأن شيئا لم يكن.

-٤-

يصاب الكثيرون باليأس والرغبة في الموت، بعضهم يقتل نفسه وفقط، وبعضهم يقرر أن يأخذ معه أكبر عدد ممكن.

تُحسن الجماعات التكفيرية والإرهابية اختيار اليائسين، بعض الراغبين في الموت يخشون من الإقدام على الانتحار حتى لا يخسروا الآخرة كما خسروا الدنيا، هؤلاء جاهزون تمامًا للاقتناع بأي منهج يجعل من الانتحار بطولة من

بعدها الجنة، وصيدٌ سهل لتنظيمات تحتاج إلى قنابل متحركة وتمتلك منظّرين يجعلون من قتل النفس والغير جهاد في سبيل الله.

نجحت السلطات المتتالية في جعل الموت عند الآلاف أحب من الحياة، ولذلك ثمن سيدفعه الجميع.

-٥-

في معاركنا السياسية والنخبوية الكبيرة ندهس بشرًا لا تعنيهم خلافاتنا ولا يهتمون إن كانت الانتخابات ستجرى بالقائمة النسبية أم المفتوحة ولا يهتمون إن كانت ستجرى أصلا.

السياسة في أبسط تعريفاتها تنافس على تقديم حياة أفضل للمواطنين، لكن الأمر عندنا مختلف، إذ تتنافس السلطة والمعارضة على جعل الحياة أكثر كآبة.

استبدلنا رئيس يغلق الشباك أمام دخول الهواء برئيس أغلق باب الخروج، وعندما أردنا استبدال الثاني جاء رئيس حافظ على إغلاق الشباك والباب وأشعل النار في البيت من الداخل.

## معركتك ليست معنا

-١-

إن الإرهابيين قتلوا ٣٠ من أبنائنا الجنود في سيناء، ولذلك يجب أن يتوقف برنامج محمود سعد في القاهرة.

لكي تنتصر عدوك يجب أن تعرفه أولا

-٢-

«كشفت مصادر سيادية مفاجأة في حادث استهداف كمين القواديس في الشيخ زويد، تتمثل في تورط ضابط سابق فى القوات المسلحة، يدعى «هـ ع»، فى العملية بعدما فُصل من الخدمة عام ٢٠٠٩».

جاءت التصريحات المنشورة في جريدة الوطن لتؤكد من جديد أن غالبية الحوادث الإرهابية الأخيرة حدثت بتدبير من ضباط سابقين في الجيش والشرطة يعرفون جيدا الثغرات التي يمكن أن ينفذوا من خلالها لتنفيذ عملياتهم.

«وقال الوزير إن هذه المجموعة تعد من أخطر البؤر الإرهابية التي يتولى قيادتها تنظيمياً القيادي المُفرج عنه نبيل محمد عبدالمجيد المغربي، وتم الإفراج عنه خلال فترة حكم الرئيس المعزول محمد مرسي».

هكذا تحدث وزير الداخلية محمد إبراهيم في مؤتمر صحفي عقده أواخر نوفمبر ٢٠١٤ لكشف التفاصيل المرتبطة بعدد من التنظيمات الإرهابية، لكن

الناشط الحقوقي حسام بهجت كشف في تقرير مهم له على موقع مدى مصر أن تصريح الوزير مخالف للحقيقة، لأن نبيل المغربي خرج من السجن في ٥ يونيو ٢٠١١، أي قبل عام كامل من انتخاب مرسي رئيسا للجمهورية، وبموجب قرار بالعفو لأسباب صحية أصدره النائب العام الأسبق عبد المجيد محمود المعين من قبل الرئيس المخلوع حسني مبارك.

«وقع أمس حادث إرهابي أمام جامعة القاهرة أسفر عن إصابة ٦ من ضباط الشرطة، و٤ مواطنين، جراء انفجار عبوة ناسفة في نفس المكان الذي استشهد فيه العميد طارق المرجاوي قبل أشهر، وذكرت مصادر أمنية أن الإرهابيين استغلوا انشغال الضباط بمتابعة المظاهرات أمام الجامعة وزرعوا قنبلة أسفل الشجرة المواجهة لنقطة الشرطة الموجودة أمام جامعة القاهرة».

ما تتحدث عنه صحيفة الأهرام الحكومية تكشف وجود خلل مهني كارثي في أداء الأجهزة الأمنية، أن يحدث انفجاران تفصل بينهما شهور قليلة وتحت نفس الشجرة، فهذا يعني أنك لا تتعلم من أخطائك وأنك صيد مثالي لأي راغب في اصطيادك.

كل ما سبق يعني أن الدولة ممثلة في أجهزتها مسؤولة بشكل كامل عن كل حوادث الإرهاب التي تحدث، يفرج المجلس العسكري عن إرهابيين خطرين، يفصل الجيش ضباطا ينضمون على الفور إلى أعدائه ويستغلون أسراره، تقصّر الأجهزة الأمنية في أداء واجبها وتنشغل بمتابعة المظاهرات أكثر من انشغالها بتأمين نفسها ومواطنيها.

-٣-

إنها وصفة سهلة وأثبتت فعاليتها.

بعد كل حادث إرهابي ذكّر الناس أن الثورة هي السبب وصوّر لهم أن احترام حقوق الإنسان يتعارض مع الأمن القومي، أطلق إعلامك لينهش كل معارضيك وليطلب تضييقا أكثر على الحريات، عندها ستضرب عصفورين بحجر واحد، ستفلت من الحساب على تقصيرك في أداء واجبك، وستحصل على مزيد من الغطاء الشعبي للإجهاز على كل خصومك.

يتجاهل الجميع أن من يفجّرون أبناءنا ويقتلون جنودنا لا يعترفون أصلا بالديمقراطية وحقوق الإنسان وحكم الشعب، يكفّرون من يطالب بهما كما يكفّرون الحكام والجنود، مطالبنا ليست مطالبهم وأحلامنا لوطننا تتناقض مع أحلامهم لدولتهم، ولو تمكنوا منا لقتلوا أهل الديمقراطية قبل أن يقتلوا أهل الحكم.

أتفهم رغبة المسؤول في الهروب من المسؤولية وتعليقها في أعناق آخرين لكن المسألة أكبر من ذلك بكثير يا سيادة الرئيس، فعدم تحديد العدو الحقيقي يجعلك تحارب دومًا في الاتجاه الخطأ، لا تضيع وقت الدولة في ملاحقة الكتاب والتضييق على الإعلام لأن الإرهابيين لا يقرؤون الصحف ولا يشاهدون الفضائيات، لا تضيع على الوطن فرصة حقيقية للاصطفاف بكامل فصائله في مواجهة عدو مشترك، لتجعل بعضه في مواجهة بعضه بينما العدو المشترك يضبط قنبلته الزمنية في مكان جديد.

-٤-

وقع حادث سيناء وباسم يوسف ويسري فودة وريم ماجد وعمرو حمزاوي وعلاء الأسواني ومصطفي النجار وخالد علي وكثيرون ممن هم على شاكلتهم ممنوعون من الظهور التليفزيوني منذ شهور، وأحمد ماهر ومحمد عادل وأحمد دومة ومحمد سلطان وسناء سيف ومئات غيرهم في السجون لأنهم لم

يقبلوا اتباع روشتة النجاة، وقيادات الصف الأول والثاني والثالث من جماعة الإخوان في السجون أو خارج البلاد، والجيش والشرطة والحكومة والمؤسسات والغالبية الكاسحة من الأحزاب السياسية تدين للرئيس بالسمع والطاعة.

رغم ذلك يعتقد كثيرون من أهل السلطة وحملة مباخرهم أن التفجيرات والإرهاب سببهما الديمقراطية والطبطبة على المعارضين، بل ويطالب أحد المهاويس السيسي بأن يكون فاشيا ويسحق المدافعين عن ٢٥ يناير ومن لا يزالوا مؤمنين بالثورة، فماذا بعد قتل المعارضين وسجنهم ومنعهم من الظهور إلا ضربهم بالطيران؟.

-٥-

لن تتوقف العمليات الإرهابية الجديدة قبل أن تتعلموا من القديمة، لن تتفادوا مصير سوريا والعراق إلا إذا فعلتم شيئا مختلفا عنهما، لن تنتصروا لأنكم أصلا لا تحاربون.

## الحرب على سيناء.. قصة الذين تعلموا ألا يتعلموا

-١-

لـو أن النظـام الحـالي تعلـم شـيئا واحـدا فهـي ألا يتعلـم مـن تجـارب سـابقيه، فكـما لم يتعلـم أن الاسـتبداد لا يحمـي نظامـا وأن احتـكار السـلطة لا يـدوم للأبـد، لم يتعلـم أيضـا أن التعامـل مـع ملـف سـيناء بالحديـد والنـار لا يحـل المشـكلة، وأن محاولاتهـم للقضـاء عـلي الإرهـاب هنـاك تزيـده.

-٢-

أدى العـشرات مـن أعضـاء تنظيـم أنصـار بيـت المقـدس صـلاة العيـد في الخـلاء في منطقـة مـا بسـيناء، حـول المصلـين كانـت تنتـشر سـيارات دفـع رباعـي تحمـل أسـلحة ثقيلـة وملثمـون يحملـون أسـلحة خفيفـة لتأكيـد وجودهـم وعـدم تأثـير الضربـات الأمنيـة والعسـكرية فيهـم.

الخـبراء الاسـتراتيجيون الذيـن هـم في حقيقـة الأمـر قيـادات أمنيـة عـلى المعـاش وكان أداؤهـم في فـترة خدمتهـم سـببا لـكل مـا نعانيـه الآن لم يلفـت نظرهـم أن عـشرات مـن أعضـاء تنظيـم تلاحقـه أجهـزة الجيـش والشرطـة يملكـون مـن الجـرأة والثقـة مـا يدفعهـم لأداء الصـلاة في مـكان مكشـوف وفي محافظـة مـن المفـترض أن الأمـن يفـرض السـيطرة عليهـا تمامـا ويجمـع المعلومـات عـن أماكـن تواجدهـم حتـى يقتحمهـا أو يقصفهـا، وبينـما يقنعنـا الأمـن أنـه يـضرب هـؤلاء في المخابـئ والأنفـاق يظهـرون هـم بـكل أريحيـة تحـت السـماء ويقضـون قرابـة السـاعة في سـماع الخطبـة وأداء الصـلاة.

الشيء الوحيد الذي لفت نظر هؤلاء الخبراء عدد هؤلاء المصلين الذي لا يتجاوز المئة، اعتبروا العدد القليل دليلا على كفاءة الأجهزة الأمنية وتأثير ضرباتها على الجماعة حتى أن عدد أعضائها بات لا يتجاوز المئة عضو، وهو ما يعني أن أمرهم سينتهي عما قريب.

حسنا، لنلعب لعبة لطيفة، سنحسب عدد «التكفيريين» الذين أعلنت الأجهزة الأمنية تصفيتهم في بيانات رسمية منذ عيد الفطر الذي وافق يوم ٢٨ يونيو ٢٠١٤ وحتى الآن وذلك وفقا للبيانات الرسمية للمتحدث العسكري.

في ٩ أغسطس أعلنت القوات المسلحة مقتل ٦٠ تكفيريًاخلالالفترة من ٢٨ يوليو إلى ٩ أغسطس، وفي ١٣ أغسطس أعلن المتحدث العسكري مقتلتكفيرييناثنين، وفي ١٧ أغسطس تم الإعلان عن تصفية ٥ تكفيريين، وفي اليوم التالي أعلن عن مقتل ٣ تكفيريين، وفي ٢١ أغسطسأعلن عن مقتل ٤ تكفيريين، وفي ٢٥ أغسطس أعلنت الأجهزة الأمنية مقتل ١٤ تكفيريا.

وبحسبة بسيطة نكتشف أن عدد من قتلتهم القوات في شهر واحد يصل إلى ٨٨ تكفيريًا بخلاف من ألقي القبض عليهم، وهذا يعني أن الإرهابيين التكفيريين في سيناء انتهوا تقريبًا، وللتأكد من ذلك يمكنك مراجعة فيديو ذبح ٤ مواطنين علي يد تنظيم بيت المقدس قبل أيام وفي صحراء سيناء المكشوفة أيضا!

-٣-

يدير النظام الحالي معاركه في سيناء الآن بنفس طريقة نظام مبارك، يقتل العشرات دون الإعلان عن أسمائهم ودوافع قتلهم وأدلة انتمائهم للجماعات الإرهابية، ويعتقل المئات بنفس الطريقة، يفضل الخيار الأمني لمواجهة الوضع المتأزم في سيناء، لا يبحث عن أصل المشكلة لأنه لا يريد أن يواجه نفسه بها، وأصل المشكلة أن سيناء، وشمالها تحديدا، مهملة ولا تحصل على أي نصيب من

التنمية ولا أي فرص للحياة لأن هناك اتفاقية إذعان اسمها كامب ديفيد تعوق كل ذلك.

تستأذن مصر من إسرائيل لإدخال مدرعات ودبابات إلى المناطق المحظورة في سيناء، تشن حملات مداهمات وتطارد الإرهابيون فيختبأوا في الجبال، بعد عدة أيام تطلب إسرائيل من مصر رجوع الدبابات إلى الأماكن التي تحددها الاتفاقية، لا تجد مصر بدا من الموافقة، تعود الدبابات والمدرعات، يخرج الإرهابيون من المخابئ، وينتقمون من القوات ذات التسليح المحدود التي أصبحت بلا غطاء.

المعارك في سيناء لا يجب أن تدار على طريقة الشرطة في تقفيل الدفاتر، الأمر يتطلب البدء من نقطة البداية الصحيحة، فلكي تعيد سيناء إلى الحياة يجب أن تنشر قواتك في كل منطقة بها، وأن تخصص لها حصة في مشروعاتك وخدماتك، وأن تملأها بالبشر وتعمل على زيادة الكثافة السكانية فيها، ولكي تفعل ذلك كله لابد أن تلغي اتفاقية السلام مع إسرائيل أو تعدلها، ولكي تلغي الاتفاقية يجب أن تكون قويًا.

حكامنا أقوياء فعلا.. على شعوبهم.

## سيناء.. ما يعرفه الجميع وينكره الجميع

(هكذا قالوا)

«لا يوجد اليوم متر واحد داخل سيناء غير مسيطر عليه سيطرة كاملة من الدولة والقوات المسلحة. مناطق الشيخ زويد والمهدية وصلاح الدين كانت ملجأ وملاذا للهاربين من الأنفاق والإرهابيين والخارجين على القانون، وكانت لهم هيمنة فى فترة من الفترات على هذه المناطق جغرافياً، وهذه الهيمنة الآن انتهت تماماً، وأتحدى أي شخص يقول عكس ذلك».

(اللواء سامح سيف اليزل، المتحدث غير الرسمي باسم الدولة المصرية، في حوار مع «المصري اليوم» بتاريخ ٨ يناير ٢٠١٥)

(هكذا حدث)

٨ أشخاص ينتمون لجماعة أنصار بيت المقدس ينصبون كمينا على الطريق الرئيس بمنطقة الشلاق جنوب رفح حاملين أسلحة الجرينوف والآر بي جي، ويخطفون النقيب أيمن الدسوقي الذي يعمل في معبر رفح البري من سيارته، قبل أن تعلن الأجهزة الأمنية العثور على جثته في اليوم التالي.

(خبر نشرته جميع الصحف المصرية بتاريخ ١١ يناير ٢٠١٥)

(تفكيك)

-١-

«الجبال لكم والأسفلت لنا»، اتفاق غير معلن أبرمته وزارة الداخلية مع البدو منذ تولي حبيب العادلي وزارة الداخلية، كانت الدولة تريد أن تبدو شبه جزيرة سيناء آمنة بما يشجع على ازدهار السياحة في شرم الشيخ وطابا وبقية المناطق السياحية، وهو ما تحقق بالفعل، فعاشت سيناء عِقدا من الهدوء لم تعكره التفجيرات المتفرقة التي شهدتها المنطقة في ٢٠٠٤ و٢٠٠٥، لكن هناك في الجبال كانت دولة أخرى تتشكل بسلاحها واقتصادها وقوانينها وتجارتها غير المشروعة.

في الأيام الأولى للثورة حاول تجار السلاح استغلال حالة الانفلات الأمني وتحركوا بشحنة أسلحة كبيرة على طريق رئيسي لكنهم فوجئوا بكمين كبير للشرطة، والجيش صادر الشحنة وقبض على قائد السيارة، حاول التجار استرداد الشحنة دون جدوى فاختطفوا سيارة شرطة كانت تُقل ٣ ضباط وأمينًا، وساوموا الأمن لتسليمهم الشحنة مقابل إعادة الضباط، وبعد فترة طويلة من المفاوضات انتهت برفض المبادلة قتل الخاطفون الرهائن ورد الأمن بدك مناطق واسعة في شمال ووسط سيناء يُعتقد أن الخاطفين كانوا قد أخفوا الضباط فيها، ومن هنا بدأ الثأر بين الطرفين، أمن يضرب بشكل عشوائي في الغالب، وبدو يردون باستهداف رجال الشرطة والجيش، وكلما زاد الضحايا تراكم الثأر ودخلت فيه أطراف جديدة.

هذه الرواية التي أكدتها لي مصادر بدوية ونفتها مصادر أمنية ولم يتسن التحقق منها من مصادر مستقلة، لكن أصحابها يؤكدونها بشكل قاطع، ويؤكدون أيضا أن الضباط المختطفين هم أنفسهم الضباط الذين أُعلن عن

اختفائهم في سيناء عام ٢٠١١ ولم يعودوا إلى الآن، ويشددون كذلك على أن عدد المتطرفين قليل للغاية لكنهم مدعومون بأصحاب الثأر الذين فقدوا أقرباءهم بالقتل أو الاعتقال في الضربات الأمنية المتتالية.

-٢-

كان اتفاق الدولة مع شيوخ قبائل البدو يعني اتفاقها مع البدو جميعًا، الآن اختلف الأمر.

لم يعد شيوخ القبائل في سيناء يحظون بنفس الاحترام ويملكون نفس التأثير، أصبح الكثيرون منهم بين شقي رحى، شباب يرونهم متساهلين في الحقوق والدماء، ودولة تراهم يؤوون الهاربين والإرهابيين، لذلك صار الشباب لا يلتزمون باتفاقات شيوخ قبائلهم حتى لو لم يجاهروا بذلك، وصارت الدولة تقصف وتقتحم معاقل القبائل دون استئذان الشيوخ.

«يجب أن تتغير كثير من القوانين العرفية»، قالها مواطن بدوي لي شارحًا، أن القوانين العرفية عند البدو تمنع شيخ القبيلة من تسليم أحد أبناء قبيلته إلى السلطات ما دام قد لجأ إليه، وعليه صار هؤلاء يجلبون الأذى على قبائلهم كاملة، لكنه استدرك مانحا العذر للشيوخ بسبب اضطرارهم للحفاظ على قوانين وعادات ورثوها من السابقين ولا يريدون أن يُتهموا بتضييعها.

تحاول الدولة إحياء دور شيوخ القبائل من جديد بعدما أدركت أن عودتهم إلى سابق هيبتهم وتأثيرهم تعني حل الكثير من الخيوط المتشابكة، فباتت تعقد معهم اجتماعات دورية بل إن محافظ جنوب سيناء قرر مؤخرا رفع راتب شيخ القبيلة إلى ٤ آلاف جنيه.

لكن ما لا تدركه الدولة أن الأوان قد فات، وأن العجلة لن تعود إلى الوراء،

بعدما تحول ولاء كثير من الشباب بالفعل من شيخ القبيلة إلى أمير الجماعة وأمراء الانتقام والثأر، وأن أبناء القبائل الذين خطفتهم الجماعات المسلحة وقطعت رؤوسهم لم يكونوا ليصلوا إلى يديها دون مساعدة مخلصة من أبناء في نفس القبيلة يكفّرون من يتعامل مع الأمن ويهدرون دمه حتى لو كان ذا قربى.

-٣-

في طريقنا إلى معبر رفح لتسليم بعض المعونات إلى أهالي غزة أثناء الضربة الإسرائيلية الأخيرة، توقفنا لعدة ساعات في كمين «بالوظة» بعدما رفضت قوات الجيش السماح لنا باستكمال الرحلة، وبينما كانت المناقشات ساخنة بين أفراد القافلة وقيادات الكمين تجولت في المنطقة لأدرك الواقع المخيف الذي تعيشه قوات الشرطة والجيش في سيناء.

لا يختلف كمين بالوظة الواقع في منطقة ملتهبة في مدخل محافظة شمال سيناء عن أي كمين تقابله في سيرك على كورنيش النيل أو شوارع القاهرة والجيزة، فقط بعض الحواجز الحديدة ومدرعة تختفي خلف أجولة كثيرة من الرمال وعدد من الجنود والضباط لا يتجاوز أصابع اليدين.

في الخلفية كان المشهد أكثر من مخيف، مساحة مفتوحة من الرمال والكثبان الرملية لا يوقفها إلا جبل على مرمى البصر في كل اتجاه، تتوقع أن يأتي الخطر من أي اتجاه وأن يصل أي إرهابي حتى باب الكمين دون مضايقة من أي نوع.

بقدر ما كان غضبي من منع القافلة، بقدر ما كان تعاطفي معهم بعدما تركناهم، نظرت من زجاج السيارة الخلفي والكمين يبتعد شيئا فشيئا والشمس تستعد للرحيل، وهذا يعني بالنسبة لهم ليلة جديدة في صراعهم اليومي مع المجهول.

سألت مصدرا أمنيا عن إمكانية رفع كفاءة الأكمنة في سيناء وكيفية تأمينها

لتصبح مؤهلة للتعامل مع المخاطر المتراكمة كمان، سرد أكثر من ١٠ طرق كلها جاهزة للتطبيق وكفيلة بتقليل المخاطر بدءا من إقامة أسوار على مسافة مناسبة من الكمين مرورا بنشر كاميرات المراقبة الليلية وصولا إلى رفع كفاءة الأسلحة وتدريب المجندين على التعامل مع المواقف الطارئة.

الأزمة تكمن في المخصصات المالية الكبيرة لشراء وإقامة وسائل التأمين، بينما لدى القيادات الأمنية ولدى الدولة أولويات أخرى للإنفاق.

-٤-

صراع الأجهزة محتدم في سيناء ويضر فعليا بكل جهود مكافحة الإرهاب، وهناك حكايات كثيرة عن الأجهزة التي تحجب معلومات عن أجهزة أخرى لتُظهر فشلها وتثبت للسلطة أنها أهم من غيرها.

هذه الحكايات تُعرَف ولا تُكتَب، لأن الدولة تعرفها جيدًا وتعجز عن وقفها، ولأن ضرر الخوض في تفاصيلها أكثر من نفعه.

-٥-

الأمر في سيناء أكبر بكثير من القشور، دعك من قمة جبل الجليد التي تخدعك وانظر دوما لما هو أعمق وأخفى.

ستُغلق الأنفاق الآن لكنك لن تُحاسب من سمح بوجودها سابقًا، ولا من أغلق معبرا شرعيا يمكن مراقبته ليجعل البديل أنفاقًا لا يمكن التحكم فيها، ولن ينفي ذلك أيضا أن الأسلحة باتت تملأ كل شبر في سيناء بالفعل.

يقولـون إن نظـام مبـارك هـو مـن بـدأ الأزمـة في سـيناء حـين لجـأ للحـل الأمنـي فهمّـش البـدو وحاصرهـم وأصـدر بحـق المئـات منهـم قـرارات اعتقـال بتهـم ملفقـة ففـروا إلى الجبـال ونزلـوا منهـا يحملـون السـلاح ويعـادون الدولـة، ويتجاهلـون أنهـم يقعـون في الفـخ نفسـه بإيقـاع أسرع.

يبحـث الجميـع عـن حلـول جديـدة، لكـن الحلـول الجديـدة لا تـأتي مـن سـلطة قديمـة، سـلطة تقـول إنهـا جـاءت لمنـع تقسـيم مـصر، بينـما تسـير هـي في هـذا الطريـق بـكل حـماس.

# الفصل الثالث
# .. إخوان ..

## حوار تاريخي مع مرسي وبديع والعريان

كان الإخوان يدركون أن ترشيح أحد قياداتهم للرئاسة سيضر بالثورة والجماعة معًا، وسيعطي فرصة لمن يجيدون استخدام فزاعة الإسلاميين, لكنهم رشحوا.

كان الإخوان يعرفون أن عدم إشراك القوى السياسية في الحكم سيجعل مقعد رئيسهم الذي وصل إليه بـ٥١٪ مهددًا من الـ٤٩٪ الآخرين، لكنهم لم يشركوا.

كان الإخوان يعلمون أن عدم مبادرة مرسي بالدعوة لانتخابات رئاسية مبكرة يعني أن يعود الجيش ليخلعه ويمارس السياسة بوضع اليد، لكنهم لم يبادروا.

دائمًا يعرف الإخوان الشيء السيئ، ودائمًا يفعلونه.

ولأن خير عقاب للإخواني أن تدعه يتكلم، سنجري حوارًا مع الإخوان نطرح عليهم فيه الأسئلة المثارة حاليًا ونسمع إجاباتهم عليها، لنعلم من هم عبيد البيادة حقًّا ومن برر القتل قولاً ومن شارك في القمع فعلاً:

• هل نحن بحاجة إلى ثورة جديدة ضد العسكر؟

- «ما الذي سنحطمه في الثورة الجديدة؟ مؤسسة من مؤسسات مصر سواء كانت وزارة الداخلية أو الدفاع، وماذا سنحرق؟ ممتلكاتنا؟ إذا كانت هناك أخطاء للمجلس العسكري فيجب التقدم بها إلى الجهة القضائية التي تطالب بحقوق الشعب المصري بالأدلة والمستندات، فأنا أرفض أن نجعل المجلس العسكري عدوًّا لنا، ونقوم عليه بثورة كما قمنا على النظام الفاسد المستبد الذي كان

عـدوًّا لـكل أطيـاف الشـعب، وأعضـاء المجلـس في النهايـة بـشر يخطئـون ويصيبـون».

(محمـد بديـع في حـوار مـع برنامـج الحقيقـة عـلى فضائيـة دريـم بتاريـخ ٢٠ ينايـر ٢٠١٢)

• مارأيك في تفويض الجيش والشرطة لمواجهة العنف والإرهاب؟

- «أصـدرت تعليـماتي إلى رجـال وزارة الداخليـة وبـكل وضـوح بالتعامـل بمنتهـى الحـزم والقـوة مـع مـن يعتـدي عـلى أمـان المواطنـين وأرواحهـم ومنشـآت الدولـة والممتلـكات العامـة والخاصـة، مَـن يروعـون النـاس، مـن يسـتخدمون السـلاح، مـن يقطعـون الطـرق، مـن يقذفـون عـلى الآمنـين الحجـارة، مـن يحاولـون العـدوان عـلى أمـن وأمـان هـذا الوطـن.. لابـد مـن التعامـل معهـم بـكل حسـم وقـوة ولا مجـال لـتردد في ذلـك؛ ليعلـم الجميـع أن مؤسسـات الدولـة قـادرة عـلى حمايـة الوطـن وأبنائـه ومؤسسـاته جميعهـا».

(محمد مرسي في خطاب بتاريخ ٢٧ يناير ٢٠١٣)

• ما رأيك في عبدالفتاح السيسي؟

- «الفريـق عبدالفتـاح السـيسي، رئيـس المخابـرات الحربيـة، الـذي حلـف اليمـين أمـام الرئيـس محمـد مـرسي كوزيـر للدفـاع خلفـاً لحسـين طنطـاوي، يعـد أصغـر أعضـاء المجلـس العسـكري سـناً، كـما أن لـه مواقـف تختلـف عـن باقـي أعضـاء المجلـس الـذي ظـل ممسـكاً بزمـام السـلطة في البـلاد».

(تقريـر نشرتـه بوابـة الحريـة والعدالـة عـن السـيسي بعـد اختيـاره وزيـرًا للدفـاع، وحمـل التقريـر عنـوان «وزيـر دفـاع بنكهـة الثـورة»)

• ما رأيك في محمد إبراهيم؟

- «يجلس على الأرض يستمع بعناية لملازم أول في مشهد ما كنا لنراه في أيام العادلي والمخلوع. هذا هو وزير الداخلية الذي يطالب بإقالته صباحي والبرادعي وجبهة الخراب».

(منشور بتاريخ ٢٩ يناير ٢٠١٣ على صفحة «ليه أنتخب شخص لما ممكن أنتخب مشروع» التابعة لجماعة الإخوان ونقلته عنها صفحة «وايت بلوك الإسلامية»).

• هل الحل لمواجهة خصومك أن تعتبرهم جماعة إرهابية، وهل من الطبيعي أن تقبض على أحد لارتدائه زيًّا أو رفعه شارة مميزة؟

- «التحقيقات كشفت أن جماعة البلاك بلوك جماعة منظمة تمارس أعمالاً إرهابية يندرج من ينضم إليها من عناصر تحت طائلة العقاب، والنيابة العامة أصدرت أمرًا بضبط وإحضار جميع عناصر البلاك بلوك، ومن ينضم إليها من عناصر أو يشاركها بأى صورة كانت، بما فى ذلك ارتداء زي عناصر تلك الجماعة».

(المستشار حسن ياسين، رئيس المكتب الفني النائب العام السابق طلعت عبدالله المعين بقرار إخواني، أثناء إعلانه البلاك بلوك جماعة إرهابية)

• ماذا تقول في القضاء والقضاة؟

- «قضاة مصر يتحملون ما لا طاقة لبشر به، كان الله فى عونهم، وجعلهم

مـن قضـاة الجنـة».

(تغريدة لعصام العريان على صفحته بموقع تويتر في ٢٦ يناير ٢٠١٣).

• أدنـت محـاولات التضييـق عـلى قنـاة الجزيـرة، فهـل ترفـض أي إجـراء مماثـل تجـاه قنـاة أخـرى؟

- «حملـت حلقـات باسـم يوسـف الكثـير مـن التهكـم والاسـتهزاء بالرئيـس، فضـلاً عـن اشـتمالها عـلى العديـد مـن عبـارات الاسـتهزاء والاسـتخفاف سـواء بالنسـبة للمشـاهدين أو بالنسـبة لشـخصية الرئيـس، وتلميحـات تجـاوزت حـدود النقـد المبـاح والموضوعيـة الهادفـة، وأصبحـت تمثـل تطـاولاً عـلى رمـز الدولـة، وانتهـاكًا للقيـم والمبـادئ التـى يقـوم عليهـا المجتمـع».

(جـزء مـن الدعـوى التـي أقامهـا محمـود أبوالعينـين، محامـي جماعـة الإخـوان المسـلمين، في نوفمـبر ٢٠١٣ لوقـف برنامـج باسـم يوسـف وإغـلاق قنـاة سي بي سي).

• ما رأيك في الأصوات الرافضة لقانون التظاهر؟

- «ضعـف الأمـن في مواجهـة البلطجـة، وضعنـا جميعًـا فى حـرج، ولا يمكـن تسـمية مـن يطلقـون الرصـاص عـلى الشرطـة والجيـش بالمتظاهريـن وإنمـا بلطجيـة، ولا يجب أن ننتظـر لمّـا البلـد تولـع مـرة أخـرى».

(القيـادي الإخـواني جـمال حشـمت مدافعًـا عـن قانـون التظاهـر في جلسـة مجلـس الشـورى بتاريـخ ٤ مـارس ٢٠١٣).

• هل ترى أن هناك من يتربص بالإخوان بسبب مواقفهم الثورية تجاه مبارك والفلول؟

- «أنا شخصيًّا أؤيد الإفراج عن مبارك شريطة رد الأموال المنهوبة والاستفتاء الشعبي على ذلك، وأرى أن من صالح الشعب الحصول على أمواله بأي شكل».

(خيرت الشاطر في حوار مع وكالة الأنباء الألمانية في ٢٢ إبريل ٢٠١٣)

- «لا يوجد خلاف شخصي مع الحزب الوطني، ولا مانع من التصالح مع رجال أعمال النظام السابق المتورطين في قضايا الفساد المالي، وأهمية تلك الخطة تكمن فى كمية الأموال التى يمكن ضخها لإنعاش الاقتصاد».

(عاشور الحلواني أمين حزب الحرية والعدالة بالمنوفية في تصريحات صحفية بتاريخ ٢١ يناير ٢٠١٣)

***

وفي نهاية هذا الحوار الشيّق: ما هي الرسالة التي يريد أن يوجهها الدكتور محمد بديع للقراء الأعزاء؟

- «أدعو كل القوى السياسية والشعبية والثورية لسحب أنصارها من الشارع، والتوقف لفترة زمنية محددة عن النزول للشارع، والتفرغ لبناء الوطن واستكمال المؤسسات، وذلك لتحقيق التمايز بين المخلصين من أبناء الوطن من السياسيين الشرفاء، والمخربين والمتاجرين بدماء شبابنا، ولرفع الغطاء السياسي عن هؤلاء المجرمين الذين يتلذذون بإراقة الدماء ويوغلون فيه، ولنساعد بذلك الأجهزة الأمنية المعنيَّة في التفريق بين المصلح والمفسد، والثائر والبلطجي، والسياسي والمجرم».

(الرسالة الأسبوعية للمرشد العام بتاريخ ١٦ مارس ٢٠١٣)

## جماعة «البنا».. هدمتها «منصة»

«سيتذرع الغاصبون بكل طرق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم، وسيستعينون في ذلك بالحكومات الضعيفة والأيدي الممتدة إليهم بالسؤال وإليكم بالإساءة والعدوان. وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات، وسيحاولون أن يبصقوا بها كل نقيصة، وأن يظهروها للناس في أبشع صورة، معتمدين على قوتهم وسلطانهم، ومعتدين بأموالهم ونفوذهم».

لم يكن حسن البنا يدرك وهو يكتب رسالته هذه قبل عدة عقود أن خصوم الإخوان ليسوا في حاجة للاستعانة بالحكومات الضعيفة ولا بالقوة والسلطان من أجل تشويه الجماعة ما دام عندهم منصة رابعة العدوية.

تقول الحكمة المصرية الجديدة: لا تنفق وقتك ومالك لإثبات أن الإخوان سيئون.. يكفيك تسليط الكاميرا على منصة رابعة.

قدمت المنصة خدمة جليلة لمصر والوطن العربي بأكمله عندما أظهرت وجهًا أخفته الجماعة لأكثر من ٨٠ عامًا، وحطمت تابوهات صنعها عملها الدائم تحت الأرض.

هناك في رابعة العدوية خلع الإخوان أقنعتهم وأظهروا وجههم مُجبرين، ذلك أن الخطاب الذي يقدمه قيادات الجماعة على المنصة هو الذي تريد القواعد سماعه ليزداد تمسكها بالميادين، وهو الذي تريد إسماعه لحلفائها في أقصى اليمين الديني ممن اتهموها مرارًا بالتفريط في الشريعة والإفراط في المرونة.

***

Protect the revolution.. anti coup.. We want democ.racy.. anti coup

لست في «الهايد بارك»، إنك الآن في ميدان رابعة العدوية الذي يعتصم فيه الإخوان وبقية التيارات الإسلامية، وبما أن مصر دولة موحدة لا تتحدث سوى اللغة العربية، فرفع لافتات بلغات أخرى يعني أنها موجهة للخارج وليس للداخل، هناك على المنصة سترى «البلتاجي» يقف مطالبًا «أحرار العالم» بعدم الصمت إزاء ما يحدث في مصر، وستسمع «العريان» وهو يعرّي الجماعة قائلًا لأمريكا: «كم من الضحايا تنتظرين حتى تقولين كلمتك؟».

تساءلت كثيرًا عن نوع التدخل الذي يريده قيادات الإخوان من الغرب: هل هو تدخل عسكري على طريقة العراق وأفغانستان يدمر البلاد لعقود مقبلة؟ أم تدخل اقتصادي عبر فرض حصار على مصر ووقف تقديم المعونات والمساعدات إليها، بما يضاعف مشاكل الفقراء ويزيد عجز المعونة ويدفعنا إلى إفلاس محقق؟

لم أجد طريقة ثالثة للتدخل، ولم أعرف أي الخيارين السابقين يميل له الإخوان، فقط تذكرت ٣٠ شهرًا بعد ثورة ٢٥ يناير تعرض خلالها الثوار للضرب والسحل والتعرية والدهس والقتل، في ماسبيرو ومجلس الوزراء ومحمد محمود ومسرح البالون والعباسية، كما وقفوا في المحاكم العسكرية ولُفقت لهم التهم، دون أن يرفعوا لافتة واحدة بالإنجليزية أو يطالبوا ولو مرة بتدخل أجنبي لنصرتهم.

يقول الإخوان «أن ينهزم الجيش من عدوه خير له من أن ينتصر على شعبه»، ونقول للإخوان «أن تنهزم أمام جيشك خير من أن تنتصر عليه بمساعدة عدوكما».

على منصة رابعة تحطمت تابوهات من نوعية أن «الإخوان جماعة وطنية»،

فبدت الجماعة التي ترى أنها تركت الحكم بدبابة جيش راغبة في العودة ولو على دبابة مُحتل.

***

شكرًا أيتها المنصة، فقد أظهرتِ كم كنا ساذجين عندما اعتقدنا الإخوان جماعة وسطية، حيث أصبح «تواضروس» في نظرهم هو من حرّض الفريق السيسي على «الانقلاب»، و«النصارى» هم العمود الفقري لجميع المظاهرات، وصار الجهاد الذي طالما تبرأوا منه بعد أحداث ١١ سبتمبر، مباحًا في مواجهة جيش بلادهم ومواطنين مثلهم، وبات شعارهم في الحرب المقدسة من أجل الكرسي: «قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار».

حتى وقت قريب كان هناك اعتقاد راسخ لدى الكثيرين بوجود عداء تاريخي بين الإخوان وأمريكا، وجاءت منصتهم بنفسها لتكشف أن العلاقة بين الجماعة وواشنطن «زواج عرفي»، ظلت ورقته مختبئة في الأدراج لسنوات حتى اضطر الإخوان لإظهارها ليعرف الجيش أن الجماعة «مش حيطة مايلة» وأن «ليها ضهر»، وكأنها تتساءل: «إنتوا مش عارفين أنا مرات مين.«

لذلك..

عندما ترى أمريكا تحارب لإخراج مرسي من مقر احتجازه وتبعث مندوبيها يوميًا لضمان خروج آمن للإخوان، وتتبارى صحفها في الهجوم على الجيش، ثم ترى مسيرة إخوانية تطالب بطرد السفيرة الأمريكية من مصر.. صدّقها.

***

«وإن قيل لكم أنتم دعاة ثورة، فقولوا نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به، (فإن ثُرتم علينا ووقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم الثائرين الظالمين)».

كتبها حسن البنا صريحة في رسائله منذ زمن، لكننا لم نقرأها، حسمها الرجل قبل عقود فقسّم البلاد إلى فسطاطين، الأول فسطاط حق وسلام تمثله جماعته ومن يسيرون على نهجها، والثاني فسطاط الثائرين الظالمين، وغالبًا يقصدوننا نحن، وسمح للفريق الأول باتخاذ ما يراه من إجراءات لدفع المخاطر عنه في حالة ثورة الفريق الثاني عليه ووقوفه في طريق ما سماه «دعوتهم.«

لا فرق إذن بين من اختصروا الدولة في مبارك ومن اختصروا الديمقراطية في مرسي، وكما بقيت الدولة بعد خلع مبارك لن تنتهي الديمقراطية بعزل مرسي.

إذا كانت الديمقراطية عند الليبراليين إلهًا من «عجوة»، فإنها عند الإخوان سُلّمًا صعدوا به إلى السلطة ثم ركلوه بأرجلهم، رضوا بالبقاء في السلطة رُغمًا عنّا فرضينا بإبعادهم عنها رُغمًا عنهم.

## عزيزي الإخواني.. تعرف إيه عن المنطق؟

-١-

يعارض الإخوان السيسي لكن لا يجرأون على الدعوة لمظاهرة أمام قصر الرئاسة، يسب الإخوان النائب العام لكن لا يمكنهم تنظيم وقفة احتجاجية أمام مكتبه، يعادي الإخوان القضاء لكن لا يستطيعون محاصرة محكمة قضت بإعدام زملائهم كما فعلوا من قبل مع المحكمة الدستورية التي هي أرفع محكمة في مصر، أحيا الإخوان الذكرى الأولى لفض اعتصام رابعة العدوية لكنهم لم يحاولوا حتى الاقتراب من الميدان.

بعد ساعات من إلقاء بيان عزل مرسي نظم الإخوان مظاهرات بالآلاف في كثير من محافظات مصر، وأثناء اعتصام رابعة العدوية كانت مسيرات الجماعة تجوب الشوارع بكل ثقة وتشتبك مع الأهالي والأمن فيسقط ضحايا من الطرفين، وبعد فض الاعتصام احتفظوا بقدرتهم على الحشد لأسابيع وكانت مسيرتهم تسيطر على كوبري ١٥ مايو في حراسة أفراد يحملون السلاح الآلي.

الآن أقصى ما يمكن أن يفعله الإخوان أن يتظاهروا في قرية بعيدة عن أعين الأمن أو يقطعوا طريقا لدقائق وينصرفوا قبل وصول الشرطة وانخفضت قدرتهم على الحشد لأقصى درجة وحتى حلفاؤهم القطريون تخلوا عنهم وطردوا قياداتهم، وفي المقابل هناك سلطة تكيل اللكمات للجماعة مداراة لفشلها في محاربة الإرهاب الحقيقي، ورأي عام يؤيد سحق الجماعة ويلوم على النظام أنه متساهلًا أكثر من اللازم في التعامل معهم، وجيش وشرطة عصيّان على الانقسام أو التعاطف مع الجماعة.

هم في أضعف مراحلهم فعلًا، وأصعب محنهم حقًا، لكنهم ما زالوا مقتنعين بقدرتهم على إسقاط النظام وعزل السيسي ومحاكمته وإعدامه وإعادة مرسي للحكم، فماذا يعرف الإخوان عن المنطق؟

-٢-

يتحدث الإخوان عن الثورة حديث العاهرة عن الشرف، فهم من باعوا أهداف الثورة بحفنة مقاعد في البرلمان والسلطة، وهم من جاءوا بمسؤولين نكّلوا بنا ثم بهم، وهم أول من ابتكر عبارة «عاوزين البلد تستقر»، وهم أول من سبوا من يعارض حكم العسكر.

ينتقدون اهتمامنا بعلاء عبد الفتاح وأحمد ماهر وأحمد دومة وماهينور المصري، وعدم اهتمامنا بمحمد سلطان وبقية معتقلي الإخوان، ورغم أن كثيرا من شباب الثورة متضامنون بالفعل مع الإخوان المضربين على الطعام في السجون، لم نجد حملة للجماعة ترفع شعار الحرية لأحمد ماهر أو أنقذوا أحمد دومة.

يقولون على موقعهم الرسمي تعليقا علي الإفراج عن علاء إن المسألة مرتبطة بالحرب على الإسلام، وإفساح الحريات للنشطاء العلمانيين وقمع التيار الإسلامي، وينسون أن علاء ورفاقه أُفرج عنهم بكفالة بعد أيام من الإفراج عن حلمي الجزار ومحمد العمدة ومئات المحبوسين الإخوان بنفس الطريقة.

يسلقونك بألسنة حداد عندما تنتقد أفعالهم باعتبارهم في السجون وخارج السلطة الآن، ثم يسلقونك بنفس الألسنة إذا قلت في أي مناسبة إنهم صاروا ضعافا أو غير مؤثرين أو خارج المعادلة، ثم يسلقون رموز دولة مبارك بنفس الألسنة رغم أنهم أيضا في السجون أو خارج السلطة الآن.

يقدمون للسلطة أسبابا إضافية للقمع وغطاء شعبيا للاستبداد مع كل اشتباك مع الأهالي ومع برنامج على قنواتهم ومع كل تصريح لقياداتهم في الخارج،

ويشوّهون مصطلح الثورة كلما جاءت على ألسنتهم، ويخوّفون الناس من المستقبل كلما تحدثوا عن عودة مرسي.

سينتقد الإخوان هذه الكلمات ويتهمون كاتبها بشق الصف، حسنا، فشق الصف مع جماعتهم هدف في حد ذاته، والتحالف معها لا يختلف كثيرا عن التحالف مع الدولة العسكرية، ذلك أن كليهما عدوان للحرية تاجرا بالدين والوطنية.

ثورتنا كانت لأجل عيش وحرية وكرامة ومبادئ، وثورتهم لأجل سلطة ومنصب وانتقام، هل يستويان مثلا؟.

-٣-

لا يدفع الإخوان الإخوان وحدهم ثمن أخطائهم، هم يدركون ذلك ولذلك يخطئون

ما الحكمة في استمرار فعاليات الإخوان بنفس الطريقة التي أثبتت فشلها عشرات المرات؟ هل هو إدمان للفشل أو رغبة أكيدة في الانتحار؟

تخرج مظاهرة محدودة للإخوان في كل مرة، يشتبكون مع الأهالي ثم مع الشرطة، يسقط بعض القتلى أحيانا ويدخل البعض الآخر السجن دائما، تكون مظاهرة الأسبوع التالي أقل عددا وأضعف تأثيرًا، ويكون النظام في مواجهتها أكثر ثقة وعنفا، تنتهي المظاهرة كما انتهت سابقتها دون جديد يذكر أو قديم يعاد، إلا زيادة ضرورية في أعداد الضحايا والمسجونين لزوم المظلومية والتجارة.

لو أعلن الإخوان بعد عزل مرسي انكفائهم على ذواتهم وعمل مراجعات لما تم وما يمكن أن يتم وتركوا الشارع ولو مؤقتا لوجد الناس فرصة يسألوا فيها أنفسهم هل نجحت السلطة الحالية أم فشلت؟ لكن ما فعلته الجماعة طوال

٢٠١٣ و٢٠١٤ أعطى للسلطة الفرصة لتحميل الإخوان مسؤولية انقطاع الكهرباء وتدهور الاقتصاد وهزيمة المنتخب، ولتبرئ نفسها أمام الشعب من أي فشل.

يصر الإخوان على مواصلة طريق الفشل للنهاية، بدأت مسيراتهم بالآلاف ثم انخفضت إلى المئات ثم تقلصت إلى العشرات، بدأت فعالياتهم في الشوارع الرئيسية والمدن وفوق الكباري وأمام مباني المحافظات والأقسام ومديريات الأمن، وأصبحت الآن مجرد ذبابة تقف على أنف السلطة، ربما تزعجها لفترة لكنها لا تقتلها أو تصيبها بأذى، وتتخلص منها بـ«هشة».

المنطق لم ينتحر، لكن الإخوان ينتحرون.

ما يفعله الإخوان بنا

«تسلم الأيادي اللي بتقتل الأعادي.. إرهابي وأفتخر»

«إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين.. متجيش تقف في صف الباطل ولما أهل الحق يقتلوك تطلع تعيط وتقول أنا غلبان.. أنت قاتل مجرم مرتد مش غلبان».

هكذا علق الناشط الإخواني «الإرهابي باعترافه» أحمد المغير على الحادث الإجرامي الذي راح ضحيته ستة من شباب مصر المجندين بالقوات المسلحة غدرًا وغيلة، ليعبر بذلك عن توجه قطاع كبير من شباب الإخوان أصبحوا يستحلون دماء أي شخص يرتدي زيا عسكريًا، ويعتبرونه جزءا من النضال المطلوب ضد السلطة الحالية.

***

يشحن الإخوان أنصارهم ضد الجيش، يشكك قياداتهم في المهجر في دين ووطنية قيادات الجيش والشرطة ويدعون إلى النضال في مواجهتهم، يحشدون الآلاف كل جمعة لإسقاط الانقلاب وتعليق الانقلابيين على المشانق، يحتفي شبابهم على الفيس بوك بكل حادث إرهابي، ثم تصدر الجماعة بيانًا تؤكد فيه إدانتها بالعنف وتمسكها بالسلمية.

رفض العنف يحتاج أكثر من مجرد بيان، يحتاج خطوة إلى الخلف نطالب بها الإخوان منذ شهور، يتطلب تمهيد لمصالحة وطنية لن تحدث مادامت الجماعة تعتبر عودة الرئيس المعزول محمد مرسي شرطها الأول قبل الجلوس على مائدة التفاوض، لذلك ستبقى الجماعة، في نظري، شريكة في المسؤولية عن كل دم يراق وكل روح تزهق.

لن نصدق حديث الإخوان عن رفض العنف وهي لم تتخذ قرارا بفصل أحمد المغير أو غيره من شباب الإخوان المتورطين في التحريض على العنف صراحة، أو مباركة قتل إخواننا في الجيش والشرطة على صفحاتهم الشخصية، ولن تجدي حجة أن كل قيادات الجماعة في السجن ومن ثم لا يوجد أحد يتخذ هذا القرار، لأن من يصدر بيان الإدانة يمكنه أن يصدر قرار الفصل.

يتكلم الإخوان كثيرا عن رفض العنف ويعطون غطاء سياسيا لجماعات الإرهاب لتفجّر وتحرق وتحطم وتغتال لإعادة رئيسهم إلى السلطة، يزعمون أنهم ضد إزهاق الأرواح ويكتفون ببيانات باردة عن رفض العنف لا تقترب من جماعات التكفير بكلمة سوء أو عبارة هجوم.

***

كان الإخـوان جـزءا مـن المشـكلة ولا يريـدون أن يكونـوا جـزءا مـن الحـل، كلـما اقتربنـا منهـم ذراعًـا ابتعـدوا عنـا باعًـا، وكلـما أتيناهـم نمـشي فـروا منـا هرولـة.

حاولنـا كثـيرا أن نسـاعد الإخـوان لكنهـم لا يريـدون أن يسـاعدوا أنفسـهم، هاجمنـا مـن يـبرر إراقـة دمائهـم ففاجأونـا بتبريـر إراقـة دمـاء خصومهـم، تحملنـا كثـيرا مـن التشـكيك والتخويـن وواجهنـا اتهامهـات بالعمالـة كلـما تحدثنـا عـن حرمـة دمائهم أو طالبنـا بالتحقيـق في جرائـم قتلهـم، لكـن كل هـذا كان يتحطـم عـلى صخـرة تمسـكهم بشرعيـة رئيـس فاشـل وقيـادات مجرمـة.

الأزمـة أن الإخـوان لا يدفعـون وحدهـم ثمـن أخطائهـم، بـل يدفعـه كل معـارض للنظـام الحـالي، وكل رافـض للحكـم العسـكري، وكل حـالم بالدولـة المدنيـة، وأتمنـى أن لا يـأتي يـوم نكتشـف فيـه أننـا كنـا مثاليـين بمـا فيـه الكفايـة عندمـا كنـا نعتقـد أنـه بالإمـكان إصـلاح الإخـوان.

***

## مرسي الذي ظلموه

مرتديا جلابية بيضاء، على كتفه عباء سعودية، وفي يده مسبحة ٣٣ حبة، كان يجب أن يقضي الدكتور محمد مرسي ما تبقى من حياته، لكن القرار الذي أخذته جماعة الإخوان المسلمين في أبريل ٢٠١٢ بترشيحه للرئاسة حتى يكون بديلا للمرشح الأساسي خيرت الشاطر، وضع الرجل في مكان لا يناسبه ولا يليق به.

كانت الجماعة تريد أن تثبت لنفسها أولا ثم للآخرين أنها لو رشحت «نملة» في أي انتخابات ستفوز بكل أريحية مستندة إلى كتلتها التصويتية الثابتة وقدرتها على حشد المتعاطفين والمؤيدين وعدم وجود منافسين حقيقيين من القوى السياسية والأحزاب المترنحة والغارقة في مشاكلها الداخلية.

حدث ما توقعه الإخوان وفاز محمد مرسي برئاسة الجمهورية، لكن «نملة» الجماعة صارت وبالًا عليها، فنُسب ضعفه وفقره ومحدوديه تفكيره نُسب إليها، وكانت الأزمات التي افتعلها والمشاكل التي اختلقها والمعارك التي دخل فيها القشة التي قصمت ظهرها.

***

راقب حركات مرسي داخل القفص ونبرة صوته المضطربة ونظرات عينيه التي تطرح سؤالا واحدًا: أنا إيه اللي جابني هنا؟

يدرك الرجل، كما ندرك نحن، أنه ليس من المفترض أن يكون في القفص، أنه لم يكون من المفترض أن يدخل قصر الرئاسة من الأساس، أنه كان يجب أن يجلس الآن بين أبنائه وأحفاده ينتظر موعد العلاوة السنوية ويجلس أمام التليفزيون على أمل أن ينطق الرئيس بها في خطاب عيد العمال.

استمع للتسجيل الذي تسرب من لقائه مع محاميه سليم العوا لتدرك أن هذا الراجل لا يعيش على كوكب الأرض ولا يتفهم الواقع الجديد الذي اختاره لنفسه حين اختار أن يتحدى إرادة الشعب ويختطفه ليهادي به جماعته.

بينما يموت العشرات من أنصاره في الشوارع ويقبع المئات منهم في السجون دفاعا عن شرعيته الوهمية، يطلب مرسي من محاميه أن يترك له أموالا في السجن لينفق منها، وبينما يتحدث دوما عن عدم شرعية المحكمة يتدبر مع «العوا» الدفوع التي سيقدمها أمامها.

مرسي ككل قيادات الإخوان. يبيع لدراويشه الوهم ليموتون ويعيش.

***

محمد مرسي درس لكل فصيل سياسي في مصر، أنك ربما تبيع سلعة فاسدة للمستهلك وتحصل على ثمنها، لكن هذا المستهلك سيأتي إليك بعد فترة مطالبا بإعادة السلعة واسترجاع أمواله، وإن رفضت ربما يأتي بأصدقائه ويحول محلك إلى «كوم تراب». بيع سلعة فاسدة ربما يأتي إليك بربح وقتي لكنه قد يتسبب في خراب تجارتك كلها أسرع مما تتخيل.

كونك قويا وصاحب شعبية كبيرة يجعلك تدقق جيدا فيمن تختاره ليمثل تيارك ويتحدث باسم فصيلك، نعم ربما ينجح من تقدمه أيا كان، لكنه قد يكتب نهايتك بخط يديه إذا لم يكن أهلا لأن يُختصر حزبك أو جماعتك فيه.

الآن يريد البعض أن يكرر نفس التجربة، فكما أوهم الإخوان الناس لبعض الوقت أن أي مرشح يقدمونه هو اختصار للإسلام، يحاول الآخرون الآن أن يوهموا الناس بأن أن مرشح تقدمه المؤسسة العسكرية هو اختصار للوطنية والاستقرار.

لا فروق كثيرة بين ترشح الدكتور مرسي والمشير السيسي للرئاسة. كلاهما لم يبذلا جهدا في الدعاية. كلاهما يتطوع فريقهما بتسويقهما قبل حتى أن يعلنا

ترشحهما. كلاهما يقتنع مؤيدوهما بأنهما ليسا في حاجة لتقديم برنامج انتخابي، كلاهما صفقة لشراء سمك مازال في البحر لعمل وجبة دجاج مشوي.

## حين ينسى «الإخوان» ماضيهم

-١-

بينما كان شباب الثورة يحيون ذكرى أحداث الاتحادية بالكتابات والصور على مواقع التواصل الاجتماعي، كانت تعليقات شباب «الإخوان» والقريبين منهم تنحصر على أمرين، الأول لوم الثوار على الاستغراق في الماضي والبحث في الملفات القديمة، والثاني مطالبتهم بالبحث عن ما يجمع ولا يفرق.

ما أسهل النصائح حين توجهها للغير، فأعضاء الجماعة التي تقضي على أي أمل لإحياء الثورة يوميا بإصرارها على رفع مطلب عودة رئيس أصبح من الماضي، تنصح غيرها الآن بترك الماضي وشأنه، والذين يمتلكون تاريخا طويلا في شق الصف وتقسيم المصريين إلى أهل جنة وأهل نار يتهمون غيرهم بشق الصفوف.

-٢-

بعد حكم ببراءة مبارك كنت في مداخلة عبر الهاتف مع إحدى فضائية عربية بينما كان في الاستوديو شخص محسوب على الإخوان، سأل المذيع عن إمكانية استغلال البراءة في تجميع الثوار مرة أخرى على هدف واحد، فأكدت أن ذلك مرتبط بتخلي الإخوان على مطالبهم الفئوية وأهمها تلك المتمثلة في عودة مرسي، كان رد الضيف الإخواني مشجعًا، تحدث كثيرًا عن صحة هذا الطرح ووجوب تقديم تنازلات من كافة الأطراف، وقبل أن يبلغ تفاؤلي مداه أحبطي الرجل بطرح جنوني يتحدث عن قبول الإخوان بعودة مرسي رئيسًا في مرحلة

انتقالية لمدة ٦ أشهر يدعو بعدها لانتخابات رئاسية مبكرة.

على صفحة الفيس بوك الخاصة بالبرنامج تم رفع فيديو الحلقة، قليل من التعليقات كانت تتحدث عن ضرورة التوحد حول أهداف الثورة، بينما الغالبية الساحقة منها يرون أنهم لا يحتاجون أصلا هذه الوحدة وأن الثوار في الشارع ولا تنازل عن عودة مرسي.

ما زال الإخوان يقتنعون بأنهم قادرون على إعادة مرسي للسلطة، وهم لا يستطيعون تنظيم مظاهرة واحدة أمام قسم شرطة أو وزارة أو ميدان رئيسي، وهم لا يجرأون على التصريح بانتمائهم للجماعة في الشارع أو الأتوبيس، وهم غير قادرين على عقد اجتماع تنظيمي أو إقامة مؤتمر حزبي.

من لم يقتنع أن مرسي كان رئيسًا فاشلًا، سيظل مقتنعًا بأنه عائد.

-٣-

«الإخوان المسلمون حريصون على وحدة نسيج المجتمع المصري ونبذ الخطاب الطائفي والمذهبي»، هذا ما قاله بيان للإخوان موقع باسم الأمين العام للجماعة محمود حسين مطلع ديسمبر الجاري، بينما كان الإخوان يشاركون يوم ٢٨ نوفمبر في المظاهرات التي دعت إليها الجبهة السلفية تحت عنوان «انتفاضة الشباب المسلم».

هراء مثل هذا قالته الجماعة وهي تعلن النفير العام قبل عامين من الآن لمنع متظاهري الاتحادية من اقتحام القصر وحماية رئيسها من السقوط، لم يكن الإخوان يعلمون إن مرسي قد سقط فعلا من وقتها، وأن كثيرا ممن كانوا يقبلون به رئيسًا حتى لا يعود حكم العسكر اقنعوا حينها أن حكم الإخوان لا يختلف عن حكم العسكر.

مازالت الجماعة مقتنعة ببراءتها من الدماء التي سالت بالقرب من أسوار القصر باعتبار الخسائر الأكبر كانت في صفوفهم، لكن من قال إن المعتدي يخرج منتصرًا طوال الوقت؟ ومن قال إنهم لا يتحملون وزر دماء شبابهم الذين سقطوا بإجرام القيادات؟

سيبقى ٥ ديسمبر ٢٠١٢ عارًا على كل من أنهاه على هذا النحو، ذلك أنه قتل الثورة ولم ينقذ نفسه، سيبقى ٥ ديسمبر ٢٠١٢ دليلا على أن نجاتنا جميعا مرتبطة بنجاة الثورة، إن عاشت عشنا وإن ماتت سبقناها.

قد نتعاون الإخوان إن اقتنعوا بأنهم أخطأوا قبل الحكم وبعده، وهذا يعني أننا لن نتعاون معهم أبدًا.

## عندما خرج الإخوان لتفويض السيسي

-١-

يقولون إنها جمعة الهوية وهي على الأرجح جمعة الهاوية.

لم ينزل الإخوان وأنصارهم إلى الشوارع يوم ٨٢ نوفمبر ٤١٠٢ للمطالبة بحياة كريمة للمصريين، لم ينزلوا للإفراج عن المعتقلين ولا القصاص للشهداء ولا حتى لإعادة مرسي إلى الحكم، لكنهم نزلوا دفاعا عن الهوية وتحت شعار «انتفاضة الشباب المسلم».

كان بوسع الإخوان أن يعلنوا مقاطعتهم المظاهرات أو تأجيل تحركاتهم إلى ٥٢ يناير حيث الذكرى الرابعة للثورة أو على الأقل يشاركوا دون إعلان رسمي، لكنهم اختاروا أن يستجيبوا لدعوة أطلقتها الجبهة السلفية التي هي أكثر التيارات الإسلامية قربا للسلفية الجهادية، وبعد أيام قليلة من هتاف أعضائهم في الشارع تأييدا لتنظيم داعش الإرهابي.

خسر الإخوان تأييد الشارع بغير رجعة، والآن يعملوا بحماس ليخسروا ما تبقى من مساندة دولية لتحركاتهم ومطالبهم.

لكل داء دواء يستطب به.. إلا الإخوان أعيوا من يداويهم.

-٢-

مظاهرات ٨٢ نوفمبر كانت تفويضا جديدا للسيسي، وكان الرجل سيخرج منها منتصرا أيا كانت مجريات اليوم ونتائجه، إذا مرت الأمور بسلام وفشل الإخوان وأنصارهم في الحشد للتظاهرات وافتعال أحداث عنف سيكون ذلك بمثابة تأكيدا على صحة السياسات التي اتبعها السيسي منذ وصل إلى الحكم وإيذانا

باستمرارها بتفويض ومباركة شعبية ما دامت قد نجحت في إنهاك الإخوان وضرب قدراتهم التنظيمية والحركية، وهو ما حدث يومها بعدما فشل الإخوان وحفاؤهم في حشد أعداد تذكر، وحتى إذا شهد اليوم أحداث عنف أو حدثت بالتوازي معه عمليات إرهابية كان ذلك سيصبح تفويضا جديدا للسيسي أن ضاعف إجراءاتك القمعية وتضييقك على الحريات وملاحقتك المعارضين حتى تحمي مصر من السقوط.

هذا كله يبرر حشد الدولة والإعلام الدائر في فلكها لذلك اليوم واعتباره يوما فاصلا حتى قبل أن يعلن الإخوان رسميا المشاركة فيه ومنذ أن كان الداعي للتظاهرات الجبهة السلفية التي نعرف من أعضائها عددا لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة.

الأسلوب الذي اتبعه الإعلام في التعامل مع ٨٢ نوفمبر، وإعلان كل أجهزة الدولة الاستنفار في مواجهته، يغري المترددين بين التيارات الإسلامية للنزول والمشاركة باعتبار أن حدثا كبيرا يلوح في الأفق، وبدا أن الدولة كانت تريد أن تطبق سياسة «صاعق الناموس»، وترغب في معرفة حجم الإخوان والإسلاميين بعد الضربات الأخيرة وتتعرف على قياداتهم الجديدة لتقضي عليهم في الضربات التالية.

طبيعي أن تسعى الدولة لضرب الإخوان، لكن الغريب أن يناولها الإخوان العصا.

-٣-

«مليونية ٩٢-٧. دعوة للشعب المصري للمشاركة في جمعة هوية مصر الإسلامية والحفاظ علي نتيجة الاستفتاء. التطهير الاستقرار نعم للمجلس العسكري».

هذا نص الدعوة التي وزعها الإخوان وأنصارهم على الناس في الشوارع منتصف ١١٠٢ عندما كان التحالف قائما بين العسكر والإخوان، وقتها أطلق

المراقبون على هذا اليوم «جمعة قندهار» بعدما رفع المشاركون في قلب ميدان التحرير صور أسامة بن لادن وأعلام القاعدة وهتفوا «يا أوباما يا أوباما كلنا هنا أسامة».

في ٨٢ نوفمبر خرجت نفس الأعلام ونفس الصور، وكانت الجمعة تحت نفس الاسم، لكن الهتافات هذه المرة كانت ضد الجيش بعدما كانت الهوية الإسلامية تتطلب تأييده في المرة الأولى، كما لم نسمع في ٨٢ نوفمبر هتافات مضادة للعدو السابق أوباما باعتباره أصبح حليفا الآن.

يستخدم الإخوان الهوية الإسلامية في الشيء وعكسه، وهكذا دوما يفعل التجار.

-٤-

«إن الإخوان المسلمين يؤكدون على أن هوية الأمة هى مصدر نهضتها وأساس تحررها ولن يقبل الشعب المصرى بطمس هويته والحرب على مقدساته وتدمير المساجد وحرق المصاحف وقتل شبابه وسحل نسائه».

هكذا تحدث الإخوان في بيانهم الذي أعلنوا من خلاله المشاركة في مظاهرات ٨٢ نوفمبر، تحدثوا عن هوية تُطمس ومساجد تدمّر ومصاحف تُحرق وحرب على المقدسات، لم يقولوا أين ومتى حرقت المصاحف ولماذا ومن دمر المساجد، ولم يوضحوا قصدهم من طمس الهوية والحرب على المقدسات، لكن لا يهم، فهذا الكلام يحبه أنصارهم ليقتنعوا بأن خروجهم لأجل الله ودينه لا لأجل مرسي وكرسيه.

تحتاج الجماعة من وقت لآخر إلى فعاليات تثبت لأنصارها أنها موجودة ولم تيأس ولم تمُت، ويقتنع أنصارها في كل مرة أن النظام سيسقط والانقلاب سيترنح،

تفشل الفعاليات، يزيد النظام قوة وبطشا فيكون هناك مبرر لإجراءات قمعية جديدة، تزيد الجماعة مظلومية ويزيد عداد القتلى والمعتقلين فيكون هناك مبرر لخروجات جديدة.

يفوز النظام والإخوان سواء نجحوا أو فشلوا، وتخسر الثورة وأهلها في كل الحالات، ويبقى الأمل غائبا عن الأفق مادامت ثنائية النظام والإخوان باقية.

## الحياة لـ«محمد سلطان»

ذلك الحنين إلى احتضان ولدك وتقبيله، ذلك الظلم عندما يتطلب سلامك عليه إذنا من نيابة أو محكمة، ذلك الوجع في رؤية فلذة كبدك وقد ذبلت ملامحه ويتحرك على سرير طبي بينما هو في ريعان الشباب، ذلك الظلم الذي يفوق مرتكبه إثما الساكت عليه، ويفوق الساكت عليه حقارة السعيد به والمبرر له.

تلك الصورة التي يهتز لها ضمير الإنسانية والتي تجمع بين القيادي الإخواني صلاح سلطان ونجله محمد المضرب عن الطعام منذ ٢٦ يناير ٢٠١٤ في جلسة محاكمتهما على ذمة قضية «غرفة عمليات رابعة»، تلك القضية التي ستذكرها كتب التاريخ الحقيقية في صفحة القهر، فصل الفُجر في الخصومة، باب تجاوُز الظالمين المدى، تلك الأيام التي لا تريد أن تمر دون أن تعلق في رقابنا عارها.

بينما كانت الصحف تنشر صور دخول محمد سلطان إلى قاعة المحكمة مقيدا بالكلابشات على نقالة سيارة الإسعاف بعد رفض المحكمة أكثر من مرة إخلاء سبيله على ذمة القضية، كانت صحف أخرى تتحدث عن تكلفة نقل وتأمين مبارك خلال جلسات محاكمته في أكاديمية الشرطة والتي وصلت إلى نصف مليار جنيه ما بين تأجير الطائرة التي تنقله وأجر الفريق الطبي الذي يرافقه ونفقات أكثر من ٥٠٠ ضابط وفرد شرطة نظير القيام بمهام التأمين.

مبارك المدان بالسجن ٤ سنوات في قضية القصور الرئاسية يجري حوارا كاملا مع صحيفة رغم أن ذلك يتطلب إذنا من النيابة باعتباره سجينا، ومحمد الذي ما زالت قضيته قيد النظر لا يهتم الإعلام ولا القضاء ولا الشرطة والنيابة بالتقارير الطبية التي تؤكد أن حالته الصحية في تدهور مستمر وأن الموت أصبح

أقرب إليه من أي وقت مضى بسبب إضرابه عن الطعام المرشح ليكون أطول إضراب لسجين في التاريخ.

سيتحدث الجميع الآن عن أن محمد متهم كغيره من المتهمين لا يجب أن يحصل على أي ميزة إضافية، بينما غالبية هؤلاء لا يعرفون شيئا عن قضية «غرفة عمليات رابعة» وأنه متهم فقط بإعداد غرفة عمليات لتوجيه تحركات الإخوان، محمد ليس متهما بالقتل ولا الشروع فيه ولا التفجير ولا التحريض عليه، لكن مادام والده قياديا إخوانيا فدمه وماله وعرضه حلال.

لست في حاجة للتأكيد على اختلافي مع الإخوان كتنظيم وصلاح سلطان كشخص لأن مساندة الحق ومواجهة الباطل لا تحتاج مقدمات، وما نفعله الآن بإغماض أعيننا عن التنكيل بأي إخواني بصرف النظر عن طبيعة تهمته جريمة سيعاقبنا عليها الله والتاريخ وربما القانون إذا دار الزمان دورته مجددا وحقت كلمة الله على الظالمين.

***

شيء ما يجعلك تقف باحترام أمام محمد سلطان، ذلك الشاب الذي نشأ ودرس وعاش في الولايات المتحدة قبل أن يعود إلى مصر نهائيًا في فبراير ٢٠١٣ لمراعاة والدته المصابة بالسرطان، وقبلها كان يتردد على مصر من وقت لآخر إما للاشتراك في الأنشطة الداعمة للشعب الفلسطيني أو للمشاركة في فعاليات الثورة، حتى أنه هو الذي صمم القميص الموحد لائتلاف شباب الثورة.

كان بوسع محمد أن يتأقلم على حياة السجن مثل آلاف غيره من قيادات وشباب الإخوان، يعتبر السجن محنة مؤقتة، يأكل ويشرب وينتظر زيارة أسرته،

يستغل وقته في قراءة الكتب وكتابة المذكرات، يضحك مع القاضي أو يشتبك معه في جلسات المحاكمة، لكن احترامه للحرية جعله يدرك أنها إذا غابت فقدت كل الأشياء طعمها ومعناها.

هكذا قالتها الثورة في وجه مبارك حين خيّر الناس بين الخبز والحرية، وهكذا قالها محمد في وجه سجانيه حين خيرّوه بين قبول الظلم والموت جوعا، تمر الثورة بوعكة كالتي يمر بها محمد، لكن لا الثورة ستموت ولا محمد سيموت، ستذكر الثورة غدا تلك الفترة بكل اعتزاز لأنها كشفت من ثاروا للحرية حقا ومن ثاروا فقط لتحسين شروط العبودية، وسيحكي محمد عن هذه الفترة بفخر لأبنائه لأنها كشفت معدنه واختبرت مبادئه.

أنت من تحتاج للتضامن مع محمد سلطان وأحمد ماهر ومحمد عادل وأحمد دومة وعلاء عبد الفتاح وغيرهم من معتقلي نظام ٣ يوليو وليس هم من يحتاجون تضامنك، غالبا لن يغير تضامنك كثيرا في ظل نظام يعتقد بأن معه توكيل شعبي بالقتل والسجن والتنكيل، لكن هذا التضامن هو فرصتك الأخيرة للتأكيد على أنك لم تمت مع من قتلت الرغبة في الانتقام فيهم كل شيء حي.

# الفهرس

الفصل الأول «ثورة» ..... ٩
الفصل الثاني»سلطة» ..... ٨٣
الفصل الثالث «إخوان» ..... ١٣٥

بتكتب رواية أو قصص أو مقال ..
بالفصحى، بالعامية أو حتى بالأنجليزى ..
بتحب تكتب ، أو تعرف حد بيحب يكتب ،كلمنا ..
هنعمل كل اللى نقدر عليه عشان نساعدك تحقق حلمك وتكون كاتب ..
لأن فى كيان ، للإبداع مكان ..


اتصل بينا على :
محمول: 01005248794 – 01001872290 – 01000405450
أرضي: 0235688678
www.kayanpublishing.com

وابعتلنا على :
info@kayanpublishing.com
kayanpub@gmail.com

وتابعنا :

kayanpublishing kayan.publish

kayanpublishing kayan_publishing